

370.1:H19mA

~~6-7~~

حمام حسن

التربية في البلاد العربية

DEC 9

JAN 6

X10

370.1

H19mA

14 Jan 65

JAN 1960

JAN 20 1960

APR 25 1960

DEC 24 1960

66/27

JAFET LIB

10 APR 1991

JAFET LIB

JAFET LIB

JAFET LIB 1980

JAFET LIB 1985

APR 65

1 - JUN 1970

JUN 1975

J. LIB.

22 JAN 1987

JAFET LIB

JAN 1974

7 MAY 1985

28 JAN 1993

تقدمه
الى الاديب الكبير
السيد اديب
مع اعمه الخبا

370.1
H19mA
c.1

ستقبل التربية

في

البلاد العربية

تأليف

حسن حمام

فخرج كلية دارالعلوم ومعهد التربية العالي بالقاهرة

١٩٥٠

الى الامة العربية المندفعة نحو التحرر والتقدم ...

الى الاجيال الصاعدة ...

الى الشباب المثقف الذي يريد ان يتحرر من قيود كثير من
العادات البالية ...

الى هؤلاء الفقراء الذين يتطلعون الى المساواة في التعليم والتربية
بقلوب كسيرة ونفوس حسيرة ، وكما امعنوا في طلبها واصاخوا
بقلوبهم قبل آذانهم الى صوتها العذب ، بعدت ونأت عنهم ولا يقع في
سمعهم الا اصدااء رنات بعيدة ...

الى من يهيم على شؤون التربية والتعليم في البلاد العربية ...
اقدم هذا الكتيب ...

المقدمة

لم تكن الامة العربية في اي زمن من تاريخها اكثر شعورا بضرورة التعلم والتربية منها الآن ، فهي تشعر ان العلم اصبح ضروريا لحياتها كضرورة هذا الغذاء الذي يسري في دمها فيقوم حياتها ويحفظ بقاءها

نعم شعرت الامة العربية بضرورة العلم عند ما هبت وانتفضت من شبه جزيرتها تريد السيادة على العالم . وكان هذا الشعور — مع عوامل اخرى — حافزا لها ودافعا وضروريا لبقاء سيادتها على البقاع التي فتحتها والتي كان اهلها اكثر تعلما منها . عند ذاك شعرت بنقصها هذا فانكببت على العلم واخذت تنهل منه نهلا وتعب عباً . ولكن رغم ذلك كله لم يسد العلم سيادته الآن في العالم المتحضر ولم يشمل التعلم جميع الطبقات وجميع الافراد شموله اليوم في البلاد المتقدمة . بل لم يكن التعليم منظماً كتنظيمه في هذا العصر ، هذا التعليم الذي تشعر الامة العربية بضرورته وبوجوب شموله جميع افراد الامة على السواء لا فرق بين غنيها وفقيرها عظيمها وحقيرها ذكيها وبليدها . لا فرق بين العاجز والقادر ، بين المصاب بعاهة ما الذي يقعده مصابه عن طلب العلم وبين السليم غيره .

اصبحت الامة العربية تشعر بوجوب توفر العلم لكل فرد من افرادها كيفما كانت حال هذا الفرد ، ولكن هل يكفي هذا الشعور لتحقيق ما تصبو اليه ؟ كلا بل لا بد من ان تساعد هذا الشعور وتبرزه حقيقة واقعة الحكومات القائمة فتسهل لشعوبها ولجميع الافراد فيها ناحية العلم

ولقد اخذت الجماعات العربية وخصوصاً الفقيرة منها تدفع بابنائها الى التعليم . ولكن النظم التعليمية القائمة والنظام الاجتماعي المسيطر على الجماعات العربية في مختلف اقطارها والنظام السياسي الآخذ بالنواجد على الاعناق والفقير المدقع الذي لا يمكن صاحبه من ان يوفر لنفسه اللقمة فكيف بالمعرفة . كل ذلك لا يسمح للطبقات الفقيرة بالوصول الى العلم ، وان سمح لهم فبقدر ضئيل محدود لا يبيل او اما ولا يذهب غصة ولا يروي غلة هذا من الناحية التعليمية اما من الناحية الاجتماعية والتربوية ، فقد اصبحت الامة العربية تشعر شعوراً عميقاً بان نظامها الاجتماعي الحالي المبني على كثير من الظلم والفساد قد آن اختتامه وآن الاخذ بنظام يسير المتطور الحديث ويسير النظم الجديدة السائدة في المجتمعات الاخرى المتقدمة وهي كذلك ترى نفسها مقسمة الى دويلات وان هذه الدويلات منقسمة على نفسها . وان كل شعب من الشعوب العربية منقسم الى احزاب وجماعات وطوائف وشيع وعناصر مختلفة

وقد اخذ الافراد المثقفون في الامة العربية يبدون شكهم بقيمة النظم التربوية والتعليمية القائمة ويتطلعون الى اصلاح في جميع مناحي حياتها عن طريق التعليم والتربية شريطة قلب النظم الآنية التي يكاد يصيبها العفن لقدمها وجمودها ، اخذوا ينظرون الى المدارس الموجودة حالياً ونظمها نظرة شك وريب في قيمتها وصلاحها لمعالج هذه الفوضى الخلقية وهذا الانحلال الاجتماعي الذي يتخبط فيه المجتمع العربي

لذلك اخذ جن الافراد المثقفون في الامة العربية يتطلعون الى نظام تربوي تعليمي اسمى بكثير من النظام الحاضر - ان كان في هذا النظام شيء من السمو - يأخذ بيد الامة فينظم لها حياتها ويقضي على هذا الانقسام

والتشتت بين جماعاتها وافرادها ويجمعها تحت لواء فكرة واحدة تعمل في سبيلها تاركة انانياتها الذاتية وعصبيتها الطائفية والاقليمية والحزبية والعائلية والعنصرية

ونحن نؤمن ان ليس هناك فكرة اعظم خطراً ولا اجدى نفعاً ولا اقوم ولا اسمى من فكرة القومية ، تكون لشباب الامة مثالا حيا يلتفون حوله يقدرونه ويقدمون الضحايا قربانا على مذبحه .

فلا بد اذن لاجل تحقيق هذا الشعور النافع عن الحاجات والضرورات للامة العربية من ان تأخذ بنظام تربوي تعليمي يعبر عن هذه الحاجات ويسعى الى تحقيق هذه الضرورات بحيث يوفر لجميع افراد الامة تعليماً مشتركاً متكافئاً فيه الفرص والظروف الواحدة بالنسبة لجميع الافراد حتى يستطيعوا ان يفصحوا عن مواهبهم واستعداداتهم الطبيعية وحتى تستطيع الامة الاستفادة من ذوى المواهب والعبقرية منهم . وحتى تصبح الاكثرية الساحقة من ابنائها رجالاً كامليين او قريبيين من السكمال يعملون لصالح امهم وخيرها ويرفعونها فوق الاقوام الاخرى

والطبقات الفقيرة حين تحس بحاجتها الى التعليم وتتوق الى ان يسود مثل هذا النظام لا تطلب ربها ماديامن ورائه ولكنها تبغي العدالة والمساواة بين جميع الافراد فيها

ولقد اصبح الفقراء يشعرون بان العلم غير موفر الا للاغنياء او لمن يستطيع ان يدفع الاقساط المدرسية ، ومن يستطيع ان يشتري الكتب المدرسية الباهظة الثمن المتغيرة في كل عام واحياناً لا يكون هذا التغير الا شكلياً

ولقد رأيت بام عيني احداثاً يعملون ليلاً وهم تلاميذ نهاراً او يشتغلون

في العطالة الصيفية حتى يستطيعوا ان يوفر وا ثمن الكتب والحوائج المدرسية
ويقتصدوا بعض الدريهمات كي تعينهم في حياتهم التعليمية الكثيرة التكاليف
ومع ذلك فان اكثر هؤلاء بعد نضال عنيف وجهاد مر مرير لا يستطيعون
الاستمرار في تعلمهم فينقطعون عن العلم والدرس ليلتفتوا الى توفير قوتهم
وقوت عائلتهم

وهناك كثير من ابناء الفقراء = وما اكثرهم في الامة العربية = لا
يعرفون ما هي المدرسة وما فائدتها ، لان اباؤهم يعيشون في فقر مدقع وجهل
مظم وكفالك بهما دائن قاتلين ، فينشأ هؤلاء الابناء يعبثون في الحارات
حيث يقتبسون كل منحط من الاخلاق والصفات ، وهكذا تخسر الامة
العربية في كل عام الآلاف بل الملايين من الفتيان والفتيات الذين ربما كان
على يد احدهم خلاص هذه الامة التي تتلفت وتطلع الى مخلص ومنقذ لها
من بؤسها وشقاءها واضطرابها وتدهورها فلا تجد ولن تجد ما لم يشمل
التعليم والتربية جميع ابناء الشعب اذ لا يكون هذا المنقذ الا من ابناء
الشعب الذين هم اكثر شعوراً بالام الامة واكثر تمسكاً بوطنيتهم وقوميتهم
من غيرهم

يجب اذن ان تأخذ الامة العربية بنظام تربوي تعليمي يبر عن حاجاتها
وبوفر لجميع افرادها تعليماً واحداً مشتركاً بحيث تتوفر فيه الظروف الواحدة
بالنسبة لجميع الافراد حتى تستطيع الامة ان تنفع من هذا التعليم فتمكن
بذلك من وضع يدها على النابغين النابهين من ابنائها وترفعهم الى اسمى
المراتب وتقدم المناصب الجديرين بها والتي تتلاءم مع نبوغهم وعمق قوتهم
ومن ثم ترتفع الامة وتسمو

وانا حين اقول الامة العربية لا اريد شعباً من شعوبها كالسوري او

العراقي او التونسي مثلاً ، بل اعني الامة العربية الممتدة من بحر الظلمات غرباً حتى جبال زغروس شرقاً والبحر العربي جنوباً حتى البحر المتوسط شمالاً ، وذلك لانني اعتقد انه يجب منذ الآن على من يريد ان يعالج مشكلة ما ، سياسية او اقتصادية او اجتماعية ان يعالجها بحيث تشمل هذا المحيط العربي برمته والامة العربية بأسرها لا ان يعالجها معالجة خاصة بجماعة ممن يسكنون قطراً خاصاً من اقطار العرب ، اذ يجب ان تعتبر الامة العربية وحدة كاملة من جميع النواحي وهي في حقيقتها كذلك لان الروابط التي تربط الشعوب العربية الساكنة في هذه الاقطار المختلفة كثيرة اهمها الصبغة العربية (وهي النسب والدم) واللغة والدين والعادات والتقاليد والجهاد في الماضي والحاضر والتطلع الى المستقبل ومجده والمواطف المشتركة ومظاهر الحياة جميعها ، وناهيك بهذه الروابط متانة وقوة

وليس لذلك فحسب بل لان الامة العربية بمختلف اقطارها اصبحت تشعر بهذه الروابط شعوراً قوياً كما تشعر بضرورة تمتينها ولزوم معالجة مشاكلها معالجة اجماعية ليتم توثيق هذه الصلات وتلك الروابط

اذن يجب على كل من يريد ان يعالج مشكلة ما ان يبسطها على هذه المساحة الواسعة من الارض ويدرسها ويصف لها الدواء بما يتلاءم مع ظروف ومقتضيات واحوال سكان هذه الاقطار على اعتبار انهم امة واحدة وانهم ذوو مشا كل متقاربة ومتجانسة

وسوف يجد كتابي هذا كثيراً من الناقدين والمستبعدين لتحقيق او امكان تحقيق او تطبيق مثل هذه الخطة او هذا النظام الذي سأحدث عنه وقد يصفه كثير منهم بالخيال ، ولكني اقول انه بعيد عن الخيال قريب من الواقع جداً وخصوصاً عند وجود العزم والاخلاص ، وان كانت الامة

العربية لا تستطيع تنفيذ مثل هذا المشروع في الوقت الحاضر لفقرها
المادي وحاجتها الى رجال مختصين بامور التربية ، الا انها قد تستطيعه في
المستقبل وخصوصا اذا خلصت الشيات ووجد العزم كما قلت ، وهي تستطيع
الآن ان تأخذ ببعضه كخطوة اولى في سبيل تنفيذه

وانى اعتقد ان مثل هذا المشروع هو خير اداة لاصلاح المجتمع العربي
في مختلف بيئاته بل خير اداة لخلق الامة العربية وبعثها حية قوية وخير
وسيلة لايجاد مجتمع عربي راق ، والاصلاح عن هذه الطريق اقصر مدى
واقوم من اي اصلاح آخر يأتي عن اية طريق اخرى ، فنحن في حاضرتنا
نحتاج الى الطفرة حتى نستطيع ان نجاري الامم الاخرى رقياً وحضارة
وعلمها وخصوصاً ذلك العدو الذي حط رحاله في جوارنا واخذ يهدد اقدس
مقدساتنا امتنا ووطننا

وقد تكون بعض هذه الاراء والنظريات التي اوردها موجزة وتحتاج
للمناقشة والتوسع والدراسة الشاملة ، الا انى اعتبرها خطوة في سبيل
دراسات اوسع واشمل او دعوة الى المفكرين والمربين في البلاد العربية
لمعالجة هذه النواحي بصورة واسعة شاملة

وحاله الامة العربية الآن وما تتخبط فيه من امراض اجتماعية وقومية
تدعو الرجل المخلص الى التفكير في هذه الامراض والعمل السريع على
ايجاد الدواء لها ولا دواء ناجع لها الا التربية

لهذا جمعت بهذا الكتيب ولا ازعم انه يضم بين دفتيه الدواء المبريء
الشافي وليكنى ارجو ان يكون عنصرا من عناصر هذا الدواء الذي نادى
واهيب بالمفكرين والاطباء الاجتماعيين العرب على ان يضيفوا الى هذا
العنصر عناصر اخرى قد يرونها مكملة له حتى يتم تركيب الدواء الحقيقي

الفعال التاجع لهذه الامة ويتم انتشارها من المرض الخطير المستحكم فيها .
وان ظهر في هذا الكتيب شيء من الاضطراب فذلك يرجع لضيق
الوقت الذي انف فيه وللفترة المضطربة من حياتي التي فكرت في ايجاده
فيها ، وهي فترة ضياع فلسطين ، وفلسطين وما حصل فيها وما ظهر على
مسرحها من عيوب ومساويء ، كشفت النفسمة العربية على حقيقتها
واظهرت تأخرها وفسادها وانحطاطها وعدم صلاحيتها للقيام بالاعباء الثقيلة
الملقاة على كاهلها في هذا العصر

كل ذلك جعلني اعمل على التفكير الجدي لوضع نظام تربوي تعليمي
اجتماعي شامل ليخرج لنا جيلا صالحا واعياً سامياً بأفكاره وأخلاقه
ووطنيته وقوميته وعلمه وفنه .

وعسى هذا الكتيب يحظى بالقاء نظره او تقدير من الرجال العاملين
ليحاولوا ان يعملوا بموجبه .



الفصل الاول

التربية

هي ايقاظ القوى الكامنة في الفرد وترقيتها وتهذيبها تدريجياً حتى تبلغ اقصى ما يمكن ان تبلغه من الكمال ، فهي تغيير مستمر في حياة الفرد . وهي تشمل جميع المؤثرات والعوامل التي تساعد الفرد على بلوغ غاية امكانياته فالكائن الحي بصورة عامة والطفل بصورة خاصة يحتاج منذ ولادته الى من يعاونه في حياته الطفلية حتى يبلغ اشده ويصبح قادراً على الحياة وسط البيئة التي يعيش فيها ، وقد زود الله الطفل بكثير من الميول الفطرية والمواهب والاستعدادات وجعلها عدته وسلاحه في الحياة . وهذه الميول الفطرية تحتاج الى تدريب وتهذيب وترقية حتى تسمو عما هي عليه وتصبح ملائمة للبيئة التي يحيا فيها الفرد ، اي ان الفرد يحتاج الى التربية والطريق التي يسلكها الناشئ في حياته المستقبلية وما يحوط هذه الطريق من ربحان او شوك وما يجده من بؤس او سعادة وما يلقاه من نجاح او اخفاق كل هذا يتوقف على مبلغ ما يناله من تربية وما يستمد منه تجربة .

وليست التربية ترفاً يمكن العيش بدونه او مناخاً قليل الجدوى يمكن الاستغناء عنه ، بل هي ضرورة للفرد او هي ضرورة اجتماعية كما قال عميد

التربية في العصر الحديث « جون ديوي » فالجميع لا يستطيع ان يتخلى عنها اذا اراد لنفسه البقاء والحياة والاستمرار لانها الصلة بين الاجيال السابقة والاجيال اللاحقة ، وهي واجب على الجيل العامل المرابي ازاء الجيل الجديد النبات الذي هو في حاجة الى التربية كي يكنسب فيها احسن الصفات الموروثة والعادات الحسنة والاخلاق الحميدة ، فهي امانة في عنق الجيل الحاضر يجب ان يؤديها الى الجيل المستقبل كاملة تامة ، كما يجب ان يبذل اقصى ما في وسعه ليقدم الى الجيل المستقبل ارقى ما وصلت اليه تجاربه وعلمه وخلقه ومثله العليا وان لم يفعل. عد خائناً بحق الاجيال المتلاحقة . فالتربية كالغذاء فكما ان الانسان لا يستطيع ان يعيش دون غذاء كذلك لا يستطيع ان يعيش عيشة راقية مهذبة دون تربية وخصوصاً في عصرنا هذا ولا بد للتربية من مرب والمربي كالبستاني ، فالبستاني يبدأ بالبذور فيعد لها التربة الصالحة ويجهزها بالسقي ونحوه حتى تنمو نمواً حسناً وتخرج شطأها وتؤتي اكلها ، وكذلك المربي يأخذ الاطفال ويعد لهم البيئة الصالحة لتربيتهم التي هي بمثابة التربة للبذور ، الا ان عمله هنا يختلف عن عمل البستاني في انه يجب عليه ان يعرف طبائع بذوره بذرة بذرة حتى يمكن لكل واحدة منها في الارض ويهيئ لها الوسائل الخاصة التي تناسبها وتدفعها في هواة ورفق نحو الحياة المثمرة المنتجة والراقية المهذبة بالنسبة للفرد .

وكثيراً ما تستعمل كلمة (التعليم) مكان كلمة (التربية) او مرادفة لها في حين ان التربية تدل على معنى النمو والتطور والنضج اما التعليم فيدل على التدريب والتلقين واعطاء المعلومات ، كما ان هناك عوامل كثيرة عظيمة التأثير في الطفل وتربيته . يظهر عملها قبل ان يذهب الناشئ الى المدرسة

وبعد ان يتركها . فالطفل يترك المدرسة قبل ان يستكمل نموه فيكون ميدان العلم امامه لا يزال متسعاً ، وكل عمل المدرسة انها تمده بقليل من العلم يتخذة اساساً لفهم تجاربه في المستقبل ويستعين به في فهم ما يعترضه من شؤون الحياة ، ولكن بما انه يجب ان يراعى في اعطاء هذه المعلومات الوصول بالناشيء الى النمو والتطور والنضج الجسمي والعقلي والخلقي كما نصل بالنبات الى النمو والنضج ، لذلك جاءت العلاقة بين التعليم والتربية وجاء استعمال كل كلمة منهما مكان الاخرى

فيجب اذن ان تكون وسائل التعليم والتدريس موصلة الى هذه الغايات الثلاث ، اي ان تقرن وسائل التعليم بوسائل التربية ، وهذا يقتضي شروطاً خاصة اذا لم تراعى فان الفرد يقف عند مرحلة محدودة في حياته الخلقية والاجتماعية فلا يبلغ كماله المنشود .

ولقد ادى هذا الخلط وعدم الدقة في استعمال معنى اللفظين على مر الايام ان اصبحت التربية تعليماً فحسب ومنصبه على ما يعطي من المعلومات النظرية المحدودة بين جدران المدرسة ، واصبحت المدرسة بعيدة عن الغاية التي انشئت لاجلها وهي التربية والتعليم معاً ، بل ومكان للاصلاح ايضا تصلح بما يسودها من جو خلقي وتربية فاضلة البيئة الخارجية

وقد تنكبت المدرسة عن هذه الطريق طريق الاصلاح والتهذيب وسارت على طريق فهم ان التعليم هو التربية وخصوصاً في البلاد العربية حتى اصبحت المدرسة ميدان تعلم فقط لا ميدان تعلم وتربية . واستطيع ان اجزم بما رأيته وخبرته في هذه السنين القليلة التي مارست فيها مهنة التعليم ان البيئة المدرسية الخلقية والتنظيمية والاجتماعية ليست احسن حالا من البيئة الخارجية بل هي ممثلة لها ادق تمثيل وربما كانت بيئة المدرسة اكثر

اضطرابا وتأخراً في هذه النواحي من البيئة الخارجية . ويمكنني ان اجزم كذلك بان المدارس التي يسودها جو تربوي صحيح قليلة جداً في البلاد العربية ان لم تكن مفقودة . ورب قائل يقول : اذن ما ذا تعمل جميع هذه المدارس المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، فاقول انها تعلم ولا تربى وهذه هي الحقيقة وما اقسى الحقيقة في كثير من الاحيان ، وللاحققة اقول ايضاً ان هناك بعض المدارس تبذل جهوداً جبارة في سبيل خلق جو تربوي فيها الا ان (اللاسف الشديد) جميع ما تبذله يذهب ادراج الرياح امام انعواصف التي يثيرها في وجهها البيت والشارع فتأتي هذه العواصف الرعناء على كل نبتة تكون قد غرستها المدرسة في نفوس تلاميذها ، فتذوي هذه النبتة وتتراكم عليها رمال محرقة من صحراء البيت والشارع المقفرين من وسائل التهذيب والتربية المليئين بكل ما يفسد الخلق ويحط سمو النفس واني لا اريد ان اضرب امثلة على مقدار انحطاط البيت والشارع في اسرتنا ومجتمعنا الحاليين ، فالامثلة كثيرة وظاهرة لكل ذي عين ، وكل ما يجب علينا عمله هو ان نسرع في تدارك هذا الانحطاط وهذا التدهور والا كانت له نتائج جد وخيمة على مستقبلنا من حيث انما امة تسمى وتطمح لاعادة مجدها الغابر وعزها التليد على ايدي هؤلاء الذين يزيد ان تربوهم احسن تربية

وتكون الحقيقة اكثر ايلا ما اذا قلت ان هذه المدارس لم تنجح النجاح التام حتى في اعطاء المعلومات ايضاً ، وما ذلك الا لان المناهج والمواد الدراسية توضع بحيث لا تتلاءم مع ميول التلاميذ ومواهبهم واستعداداتهم واعمارهم . كما ان طرق التدريس نفسها لا يراعى فيها الطرق الحقيقية التي يجب ان تتبع ، فاكثروا مدارسنا لا تزال تسير على الطرق القديمة في التعليم

وهي الطرق التلقينية حتى في المدارس الابتدائية ، وقد يكون هناك بعض النزوع والرغبة في التخلص من هذه الطريقة في بعض المدارس النموذجية الابتدائية في مصر والعراق الا ان هذه المدارس قليلة جدا ولا تزال في بداية تجربتها بحيث لا يمكن ان يحكم عليها او يمكن ان تدخل في حديثنا بصورة عامة .

ثم ان اخفاق المدارس في التعليم وخصوصا الابتدائية منها يرجع الى ضعف كثير من المدرسين وعدم معرفتهم بطرق التدريس وجهلهم التام لامور التربية - وهذا في سوريا وفي غيرها من البلدان العربية غير مصر والعراق - ففي سوريا لا تزال وزارة المعارف تأخذ اكثر معلمي المدارس الابتدائية من حملة شهادة الكفاءة (وهي اقل ثقافة من شهادة الثقافة المصرية وادنى من الشهادة الثانوية بسنتين في النظام السوري) وهؤلاء ضعاف في تعليمهم وثقافتهم حتى انهم لا يحسنون كتابة بضعة اسطر دون ان يقعوا في اخطاء املائية ونحوية كثيرة ، فكيف يستطيعون ان يعلموا اطفالا تلميها صحيحا مفروضا فيه ان يكون مقترنا بوسائل وطرق تربوية وخصوصاً في المدارس الابتدائية ، هذا عدا عن جهلهم بقواعد التدريس التي يحبظون فيها خبط عشواء الليل

ومثلهم في هذا المعلمون حملة الشهادات الثانوية ، فهؤلاء وان كانوا اكثر ثقافة من اولئك الا انهم تنقصهم طرق التدريس وعلوم التربية حتى يستطيعوا ان يسيروا في تعليمهم على هدى ونور ونستطيع ان نرجو منهم نفعا وخيرا .

ولا ادري لماذا تسمح وزارة المعارف السورية لنفسها بتعيين معلمين من حملة الشهادة المتوسطة او الثانوية دون ان يتخرجوا من دور المعلمين

الابتدائية رغم وجود مثل هذه المدارس في سوريا ، وليس حاجة لها ان
تقول انها بحاجة ماسة الى المعلمين بسبب التوسع في التعليم فبماكانها ان
تزيد في عدد طلاب دور المعلمين بحيث يمكنها ان تخرج في كل سنة عددا
يسد حاجة المدارس الابتدائية

ومن اسباب اضطراب التعليم في سوريا ايضا انتداب بعض مدرسي
التعليم الابتدائي ذوي الثقافة المحدودة الى التعليم الثانوي فوق الاضطراب
في كلا التعليمين الابتدائي والثانوي واصبحت العناية بالمدارس الابتدائية
لا توجه الا الى الصفوف المنتهية وتكون هذه العناية بحشو ادمغة التلاميذ
بالمقررات حشواً وبصورة مضطربة فلانائي نهاية السنة المدرسية حتى يكون
ذهن التلميذ قد انتفخ من الورم ، وعلى ورقة الامتحان يسكب ما في رأسه
من صديد

نعم ان ضعف الاشراف على المدارس وعلى سير التعليم عامل هام في
تأخر التعليم فكثيراً ما تمضي السنة ولا يزور المفتش المدرسة واذا زارها
تكون الزيارة لشرب فنجان من القهوة وتبادل المجاملات وليس غير
هذا في التعليم الابتدائي اما في التعليم الثانوي فيحضر المفتش في نهاية
السنة بعد ان يكون اكثر التلاميذ قد انصرفوا الى بيوتهم للاستعداد
- كما يدعون - وعند ذلك يضطر مدير المدرسة الى جمع قسم كبير منهم
بحيث يقوم المدرس بالقاء درس عليهم امام المفتش ، وقد لا يستغرق وجود
المفتش داخل قاعة الدرس اكثر من خمس دقائق يقف فيها صامتا احيانا
واحيانا يتولى المفتش نفسه في القاء الدرس حيث يصرفه في التحدث عن
نفسه وعلمه ورحلاته وجولاته ومكائنه الاجتماعية ، وفي نهاية ذلك يلقي
بضع كلمات يثني بها على المدرس ثم يخرج ليعد تقريراً مفصلاً عن هذا

المدرس وشخصيته وعن طريقة تعليمه ثم عن المدرسة بصورة عامة

اما عن كيفية نجاح التلاميذ من صف لآخر وضعف علامات النجاح فلا اريد ان اتحدث عنها في مثل هذا الكتيب لان ذلك يقتضي دراسة واسعة وعميقة اتركها لفرصة اخرى

ومن عوامل تأخر التعليم ايضا ضعف السيطرة على التلاميذ وخصوصا في المدارس الثانوية سواء اكان هذا الضعف من وزارة المعارف ام من الادارة المدرسية ام من المعلمين ، حتى اعطى هذا الضعف اسوأ النتائج اذ انتشرت الفوضى في المدرسة واصبح التلاميذ يتعصبون ضد المدرسة وضد المعلمين احيانا وضد الوزارة احيانا كثيرة واصبحوا يفرضون ارادتهم على من يشاءون وما اكثر الحوادث التي وقعت وستقع نتيجة لذلك وكذلك هناك عوامل كثيرة تسبب التأخر في التعليم وتعرقل عمل التربية عند الامة العربية منها ان يتولى التعليم من يسوا اهلا له . ففي كثير من البلاد العربية تتخذ كثير من المدارس وسيلة من وسائل التجارة والربح وكثيرا ما يديرها ويقوم بامور التعليم فيها اناس لا يفقهون من العلم شيئا فقد اكتشف مرة ان رجلا خبازا ليس بيده اية شهادة يدير مدرسة ابتدائية في القاهرة (١)

وقد قيل لي مرة في القاهرة ان مدرسي احدى المدارس الاهلية ويرأسهم الناظر (المدير) كانوا يعملون في تزوير اوراق النقد المصري وقد اقلت الحكومة القبض على هؤلاء جميعا واقفلت المدرسة ومنها (الكتاب) المنتشر في جميع البلاد العربية مدنها وقراها لان الذي يدير هذا الكتاب ويسمونه في بلاد الشام بالشيخ وفي مصر بالسيد مجهول اسط القواعد التربوية وفي احيان كثيرة لا يحيد او يحسن القراءة

(١) روح التربية والتعليم - ابراشي - ص ٢٠٢

والكتابة وتقوم طريقته على القسر والشدة والضرب المبرح وشدة التلميع
(بالفلق) واستخدام التلاميذ الكبار في تعليم رفاقهم الصغار دون ان
يزداد اولئك الكبار تعاملاً

وكذلك اعتقد ان الازهر في وضعه وانظمته الحالية في القاهرة
وفروعه في المدن والاقاليم المصرية والمعاهد الشبيهة به في البلاد العربية
وسيلة من وسائل تأخر العلم الصحيح الذي يجب ان تقسم وتنطبع به البلاد
العربية بأسرها . ومعنى العلم الصحيح هو العلم الذي تحتاجه البلاد العربية
علم الدنيا ، علم المكتشفات ، علم هذه الطبيعة المليئة بالاسرار والعجائب
فقد اصاب مكاتب البلاد العربية تخمة من كتب العلوم الدينية واللغوية
وكلها لا تخرج عن خلافات في توافه الامور واختلاف على الالفاظ
وسفسطة لا لب فيها ولا روح

فالامة العربية الان في حاجة قصوي الى العلماء الذين عندهم الية
الكريمة : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اهل يستوي
الذين يعلمون اسرار الطبيعة ويتحكمون فيها ويغوصون الى اعماقها
يستخرجون غوامضها والغازها حتى وصلوا الى القنبلة الذرية وحتى ملكوا
ناصية الريح وركبوا عنان السماء والهواء ، هل يستوي هؤلاء واولئك
الذين يشققون الالفاظ ويتجادلون على الحروف ويؤلفون في نواقص الموضوع
والمسح على الخفين ويحفظون المتون والشروح ويروون عن فلان عن
فلان وقلوبهم خاوية خالية مما قال فلان وروى فلان ، اللهم لا والى لا .

ولو ان هؤلاء المتخرجين من الازهر وغيره يقومون بجزء يسير مما
يفرضه عليهم الدين لكان الامر ولكنهم يتهافون على الوظائف الدينية
وما اقلها بالنسبة لعددهم الكثير ، وليس في ذلك التهاف ذنب عليهم لانهم
يريدون ان يعيشوا ويضمنوا انفسهم مقومات حياتها ولكن الذنب الاكبر

يعود على تلك الرؤوس الموجهة المسيطرة التي لا تحسن استغلال نشاط هؤلاء الشباب ولا تحسن توجيههم بما يعود على الدين الاسلامي والمسلمين والعرب بالخير الجزيل

واذا بقينا سائرين على هذه الخطة في اعداد رجال الدين اصبح لدينا جيش عرمرم منهم وربما نشأت لدينا مشكلات اجتماعية دينية جديدة ان لم تكن ناشئة وموجودة في الوقت الحاضر

ان بضعة رجال عاملين مخلصين يقومون بنشر الدين ويكافحون روح الالحاد في مجتمعاتهم والمجتمعات الاخرى لاكثر فائدة للدين واعظم اجراً لرجالهم عند ربهم وامتهم من وجود جيش كبير متقاعس ، فالازهر في نظري يجب ان يكون هو وغيره من المعاهد الشبيهة به في البلاد العربية معاهد علمية محضة ومدارسه الثانوية يجب ان تظهر فيها الناحية العلمية اقوى مما هي عليه الان في المدارس الثانوية الرسمية وتصبح الكليات العالية جامعة تكون مكانا للبحث العلمي الصحيح ومكانا للمكتشفات العلمية كسائر جامعات العالم ، وبامكاننا ان نخصص احدى الكليات للدراسة الدينية ونجعل لها بعض الامتيازات المادية حتى نرغب الطلاب في الدراسة فيها

اما ان يبقى الازهر وغيره يخرج لنا رجالا بهذه الكثرة الهائلة والعدد الوافر عليهم صبغة الدين ثم لا يجد اكثر هؤلاء الرجال ما يضمن لهم حياتهم ومعيشتهم الا بشق النفس وبصورة تأبأها النفس الكريمة واحيانا لا يجدون فهذا شيء لا يمكن انسكوت عليه .

هذه العوامل التي ذكرتها تؤثر تأثيراً سميئاً وقويا في تقدمنا العلمي والتربوي وفي توجيهنا الاجتماعي ، فيجب العمل على ازالتها بصورة سريعة لنستطيع ان نقول ان في مدارسنا شيئاً من التربية والعلم وان مجتمعا يسير نحو التقدم والازدهار

اهمية التربية و التعليم

ان للتربية شأناً عظيماً في حياة الفرد والجماعة فهي اساس رقي الفرد وسعادته بل هي اساس قدرته على الانسجام والتلاؤم بين افراد مجتمعه . وهي كذلك اساس رقي المجتمع ونهوضه اذ متى كان الافراد مهذبين منسجمين واعين سار المجتمع في طريق الرقي والتقدم المضطرد . ولقد ادر كت الامم الاجنبية قيمة العلم والتربية من زمن بعيد ف راحت تعني بأمور التربية وراح علماءها يدرسون مشاكلها ويبحثون عن احسن الطرق والمناهج التي يمكن تطبيقها لاجراج جيل يكون جميع افراده منشئين احسن تنشئة .

والتعليم والتربية حق من الحقوق الفردية يجب على الدولة ان توفرها لجميع الافراد لافرق في ذلك بين اية طبقة من الطبقات او جماعة من الجماعات او عنصر من العناصر او طائفة من الطوائف التي تتألف منها الامة او الشعب . بل هما حق انساني فان لم تستطع دولة ما ان توفرها للجميع افرادها وجب ان تشترك معها الامم الاخرى حتى تتمكنها من ذلك . وتمكنها من ان ترفع مستوى شعبها الى مستوى الشعوب الاخرى حتى تكتمل الصفة الانسانية لدى جميع الافراد في الامم والشعوب المختلفة .

ومن ثم تقوى اواصر الاتصال والتفاهم والتعاون بين جميع الامم فيحل الانسجام والوئام والسلام محل التنافر والخصام .

وقضية التربية والتعليم بالنسبة للعالم العربي اليوم هي القضية الهامة الحيوية التي تمس كيان الامة العربية ويتوقف عليها بقاؤها وحياتها .

لانه لم يعد باستطاعة امة جاهلة متأخرة في تربيتها وتعليمها ان تعيش بين امم احرزت القدح المعلى وبلغت السباكين فيهما . بل ليس بإمكان امة جاهلة كالامة العربية ان تسير ركب الحضارة السريع دون ان يصيبها خفقان في القلب ودوار في الرأس منذ الخطوة الاولى . فلا تستطيع الا ان تقع جاثية على ركبتين امام الامم المتعلمة المتحضرة الراقية لتعمل هذه فيها مخالبها وانيابها وتمتص دماءها ثم تلقيها جثة لاحراك فيها . او قد تتركها جثة ضعيفة هزيلة لتأمرها فتطيع وتستعبد لها فتخضع وتذلها فتتحنى ، وهذه الصورة ظاهرة واضحة في الشعوب العربية وغيرها .

فيجب على الامة العربية ان تجعل التعليم والتربية هما القضية الهامة القضية الاولى التي يجب ان تنصب وتنصرف جميع الجهود وتتكاتف جميع القوى في سبيل تعميمهما .

والتربية لا تنحصر في المدرسة او البيت فقط بل تمتداهما الى الشارع والملاعب والبيئة الاجتماعية بأسرها ، والامة التي تريد ان تعنى بامور تربية شعبها يجب ان تجعل التربية شاملة لجميع مناحي حياة الامة سواء في ذلك المدرسة والبيت والمجتمع الخارجي .

ولو اردنا ان نلقي نظرة على الامة العربية الان وعلى ما وصلت اليه من كلا الناحيتين التربوية والتعليمية في كل من المدرسة والبيت والمجتمع لوجدنا انها في تأخر شديد واستطيع ان اقول انها في مؤخرة الامم .

فاما من ناحية التربية المدرسية فليس هناك شيء اسمه تربية فالمدرسون لا يعرفونها وان عرفوها فلا يتعرفون عليها ولا تقترب من اساليبهم وطرقهم ومعاملاتهم . فاكثرهم يسير عفو الخاطر وحسب ما تمليه عليه الظروف لا حسب خطة ومبادئ تربوية عامة معروفة . وهم يسوسون الاطفال والفتيان سياسة مستحكمة فيها العادات القديمة من استبداد وتحكم وقسوة وقتل لشخصية التلميذ وكبت لهواطفه وعدم فهم لميوله وحاجاته ونوازعه النفسية وقلة عناية بجسمه وعقله واسانه ويده . واكثر معلمي البلاد العربية في الوقت الحاضر - اذا استثنينا مصر - معلمون مخضرمون متأثرون بالافكار القديمة والتربية العثمانية الاستبدادية لذلك نرى تربيتنا في تأخر مضطرد في حين اننا نود ان نكون في تقدم مستمر سريع .

وهؤلاء المعلمون وان كان بعضهم قد تلقى بعض المبادئ التربوية الا انه عند ما يتعامل مع الاطفال والفتيان مجرد نفسه عنها ويضعها جانبا وذلك في سبيل حفظ شخصيته وحفظ هيبته كما يدعي . ففي سبيل حفظ شخصيته وهيبته وسيادتها يجب ان يكون عبوسا جافا . يتكلم من اعلى وانفتى من دونه يحاول ان تكون له سلطته عن طريق السيطرة والقسوة لا عن طريق المحبة والتفاهم .

والجو المدرسي خال من دراسة نفسيات الاطفال خال من تفهم حاجاتهم ونوازعهم النفسية خال من العمل للإصلاح عن طريق تفهم نفوس التلاميذ ومعالجة هذه النفوس بحسب ما تتطلبه .

هذا بالإضافة الى التذبذب وعدم الثبوت في معاملة التلاميذ . فلكل تلميذ معاملة خاصة ، لا بناء عن دراسة نفسية ، بل بحسب ما تشغل عائلته من مكانة او حسب ما يكون لوالده او احد اقربائه من سلطة او

حسب ما يكون عليه التلميذ من شراسة وقوة . وهذه الظاهرة الاخيرة اكثر ما تتمثل في المدارس الثانوية لان التلميذ لا يظهر شراسته الا عند ما يشعر بقوته الجسدية .

والتلميذ ذو المـكانة العائلية يستطيع ان يسرح ويمرح ويحل لنفسه ما لا يحل ويعتدي على القوانين المدرسية ، وكثيرا ما يصيب المدرسين رذاذ من شراسته ورعونته ! ثم رغم كل ذلك يستطيع هذا التلميذ ان يكون بنجوة من العقاب وحتى اليوم . وكثيرا ما يقوم امثال هؤلاء التلاميذ - وهم كثر - باعمال مقصودة حتى يسترعوا انتباه اخوانهم ويلفتوا نظرهم ويظهروا بمظهر المفتخر غير المبالي بالقواعد والقوانين وحتى بالمعالمين والادارة التي تقف مكتوفة اليدين لا تستطيع ان تعمل شيئا وان همت بالعمل جاءها الوحي بالكف عن ذلك .

لذلك اصبح التلاميذ يشعرون شعوراً قوياً بهذا الجو من المعاملة المذبذبة واصبحوا يظهرون تأثرهم وتألمهم من معاملتهم معاملات مختلفة ، حتى اصبحت تصدر عنهم الفاظ وتصرفات تدل على النقمة على المجتمع المدرسي وعلى القائمين عليه . وهم قطعاً يتأثرون بهذا الجو وهذه المعاملة وينقلونها الى خارج المدرسة حيث يكون سلوكهم منطبعاً بطابعها .

من هذا ومن مظاهر اخرى كثيرة يضيق المقام عن ذكرها نستدل على ان ليس في داخل مدرستنا عدل اجتماعي ، هذا العدل الذي نريده ان يسود حياة الامة العربية باسرها ، او على الاصح ليس في داخل المدرسة جو تربوي . وانعدام العدل الاجتماعي او فقدان الجو التربوي داخل المدرسة يدفع التلميذ الى الاستهتار بالمدرسة ونظمها ويجعلهم يكرهونها ويكرهون بعضهم ويكرهون اساتذتهم وينفرون منهم ، بل يجعلهم هم

والمدرسة في حرب دائم اذ يشعرون بعدم الاطمئنان اليها والى من فيها
ومن ثم تنشأ انواع من السلوك الشاذ لديهم كاعتداء بعضهم على بعض
والسرقة والكذب والغش والكرهية والحقد والاعمال البئسية الشاذة
الى غير ذلك من الصفات والاعمال وعند ذاك تصبح المدرسة اداة سيئة
يجب ايقافها عن العمل . وهذا عين ما هو موجود وحاصل وما يضطرب
به الجو المدرسى في البلاد العربية وخاصة جو المدارس الثانوية في جميع
البلاد العربية وفي سوريا بشكل خاص .

فلاجل ان يسود العدل الاجتماعي في المدرسة وينمحي هذا التمايز بين
التلاميذ ومن ثم تقضي على هذه العيوب التي ظهرت لنا نتيجة للتذبذب في
المعاملة ونتيجة للتفرقة بين التلاميذ يجب ان يسود المدرسة جو ثابت من
المعاملة مبني على الحب والعطف والتقدير ووضع قيم خاصة ثابتة لمظاهر
سلوك التلاميذ المختلفة حتى نجعلهم يتعشقون المدرسة واساتذتها ويعملون
على حفظ النظام فيها فتسود المحبة والاخاء بينهم ، ثم ينتقل كل ذلك الى
المجتمع الخارجي فتكون المدرسة عند ذاك اداة اصلاح وتقدم حقاً .

وبما ان طرق التدريس متصلة اتصالاً مباشراً في تكوين السلوك
والاخلاق كان لها اثر كبير في تكوين التلاميذ وتوجيههم واستقرارهم
ازاء عملهم وتقبلهم له واقبالهم عليه وشغفهم به واعتمادهم على انفسهم .

فاذا كانت اساليب التدريس وطرقه تستميل التلاميذ وتثير نشاطهم
وتوجيههم توجيهاً منتجاً . بل تدفعهم الى الانتاج بذاتهم معتمدين على
انفسهم ونشاطهم الداخلي فان التلاميذ عند ذاك يشعرون بغبطة وسرور
تولد معه ثقتهم بانفسهم واحترامهم لذاتهم كلما احرزوا نجاحاً ، وان
اخفقوا تدفعهم الى تكرار المحاولة حتى يتغلبوا على المشاكل والعقد التي

تعرضهم ، واستطيع ان اقول ان ليس هناك محقق اذا كانت اساليب
التدريس وطرقه ونظم التعليم ومناهجه تسير وتوضع كما يجب ان توضع
وكما ينبغي في هذا الكتاب

ففي اساليب التعليم المبنية على نشاط التلميذ الذاتي وتوزيع التلاميذ
بحسب قواهم العقلية وذكاؤهم الفطري وبحسب اعمارهم وميولهم في كل
هذا تنعدم معه المشكلات التي تظهر في الاساليب والنظم العادية المتبعة الآن
اذ في النظام الحاضر يحشر التلميذ الذكي الى جانب التلميذ ذي الذكاء العادي
او دون المتوسط كما يحشر ابن العاشرة مثلاً الى جانب ابن الرابعة عشرة
او الخامسة عشرة ، وهذا الاخير مع ابن الثامنة عشرة ، كما يحشر ذوالميل
العلمي الى جانب ذي الميل الادبي وهكذا كان الصف حانوت بقال تبعثرت
فيه السلع الثمينة الى جانب السلع البخسة واختلط بعضها ببعض

في صف مثل هذا لا يستطيع التلميذ ذو الذكاء المتوسط ان يجاري
التلميذ الذكي ولا من هو دون المتوسط في ذكاؤه ان يجاري تلميذاً
متوسطاً في ذكاؤه ، وهنا يصبح التلميذ الضعيف اداة عرقله في الصف ،
فاذا اراد ان ينتبه ويستفيد فلا بد ان يسأل المعلم اعادة الشرح مرة
او اكثر حتى يستطيع ان يفهم واحياناً يخشى من تكرار السؤال فيسكت
على مضض ، واحياناً كثيرة يعجز عن متابعة الدرس فيغفل عن الشرح
ويشرد ذهنه في نواح كثيرة واكثر ما تكون نواحي جنسية ان كان
التلميذ بالغاً ، او انه يلتفت الى احد رفاقه ويعبث معه ويلهيه عن متابعة
الدرس .

وكذلك هناك ناحية الميل فتلميذ يميل الى هذه المادة لان مواهبه
وميوله الفطرية متفتحة لمثل هذه الناحية فيقبل عليها ويفهمها بسرعة

وسهولة ويطلب المزيد الا ان الدرس لا يسمح باعطائه مزيداً عن ذلك لان
هناك من لم يفهم الدرس تماماً ويجب اعادته مرة وثانية وثالثة واحياناً اكثر
من ذلك حتى يتمكن الضعيف او عديم الميل الى هذه المادة من الفهم .
وهنا نكون قد قتلنا وقتاً ذا قيمة كبيرة بالنسبة لذلك التلميذ الاول
الذي حكمنا عليه ان ينتظر من هم ادنى من مستواه العقلي او من هم
لا ميل لديهم نحو هذه المادة ولكنهم مجبرون على دراستها كي ينجحوا
في الامتحان .

فاذا لم تكن اساليب التدريس تثير نشاط التلاميذ الذاتي واذا كان
تقسيم التلاميذ غير مراعى فيه اختلاف القوى العقلية والاستعدادات
الفطرية والميول الطبيعية واختلاف السن فانك تجد جو الصف مملاً
مضغوطاً يحتاج المدرس فيه الى بذل جهد كبير في اعطاء المعلومات
وتوصيلها الى اذهان التلاميذ المختلفين . والى فرض سلطة وسيطرة قد
تكون ممقوتة عند التلاميذ حتى لا يدع مجالاً لمرقلة الدرس والمشوش ،
فيسير الدرس في جو من الهدوء المصطنع والكبت المكروه . ومتى انتهت
فترة الدرس التي يكون التلاميذ منتظرينها بفارغ الصبر خرج التلاميذ الى
ساحة المدرسة هائجين هياجاً لانظام فيه وكانهم انطلقوا من قفص ضيق
يبحثون عن انواع من اللذة غير الصحيحة او القويعة .

واما المعلمون الذين قيل فيهم « كما يكون المعلم تكون المدرسة » فقد
تكلمت عن كيفية اختيار كثير منهم في سوريا في التعليم الابتدائي اما في
التعليم الثانوي فليس الامر احسن من سابقه اذ ان الاكثريه الساحقة
من معلمي الثانوي هم معلمون ابتدائيون كفاءتهم العلمية تعادل شهادة
التعليم الثانوي الحالية اتقربوا للتعليم الثانوي بعد انقضاء بضع سنين عليهم

في التعليم الابتدائي ثم حصل بعض الملازمات والمداخلات (والتصنيفات
كما يقولون فثبتوا في التعليم الثانوي واصبحوا يرتعون في مرتبة حملة
الشهادات العليا بل واكثر ، ولم يكتفوا بهذا ايضا بل تعدوا الى الوظائف
الادارية والتوجيهية بوجوهن شؤون التعليم وسياسة التربية وياالة من
توجيه صحيح وسياسة حكيمة ..

وكذلك تأخذ وزارة المعارف السورية في كل عام عددا من حملة
شهادة الحقوق ليقوموا بتدريس التاريخ والجغرافيا والاخلاق والمعلومات
المدرسية وكثيراً ما يعتقدون على مواد اخرى . اما حملة الشهادات العليا في
المادة التي يدرسونها (وهؤلاء ينعتون بالاختصاصيين) وهذا « خطأ » فقد
كانوا قلائل الى عهد قريب الا انهم الآن يأخذون بالازدياد بفضل البعثات
الكثيرة المتوالية الى الجامعات الخارجية ، ولكن جميع هؤلاء يعتبرون غير
فنيين او غير اختصاصيين (بحسب التعبير السوري) بفن التدريس لانهم
لم يدرسوا شيئاً من التربية و اصول التدريس الذي يطلعهم على الاساليب
التربوية واحسن الطرق التعليمية ، لذلك يلاحظ على تعليم هؤلاء انه يتخذ
اسلوب المحاضرة الالقائي . وهم حين يتبعون هذه الطريقة انما يتبعونها
عن غير علم بها وما ذلك الا لان استاذهم القديم كان يدرسهم على هذه
الكيفية او لانها هي الطريقة العفوية التي لا تحتاج الى تفكير واعمال ذهن
ومما يحز في النفس الما ان وزارة المعارف السورية لا تفرق بين من
يحمل شهادة في التربية والتعليم الى جانب شهادته الجامعية وبين الذي يحمل
شهادة جامعية فقط . فتعين حامل الشهادات الجامعية بالاداب والعلوم مثلاً
براتب اساسه ١٤٥ ليرة سورية بينما تعطى حامل نفس هذه الشهادة مضافة
اليها دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين مثلاً نفس المرتب و احياناً تعطيه

ادني من ذلك ايضا كما فعلت معي ومع رفيق لي . فانا وهذا الرفيق نحمل شهادة جامعية في اللغة والادب ونحمل دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين من مصر عينا براتب اساسه ١٣٠ ليرة سورية ولا نعلم لهذا التفريق من سبب منطقي سوي اضطراب القيم في اذهان اولئك المسيطرين على شؤون المعارف .

هذا في سوريا اما في مصر والعراق فان الامر احسن حالا واكثر تنظيما وتقويما لقيم الشهادات والمدرسين وخصوصا من الناحية التربوية (وهي ما يسمونها في مصر بالناحية الفنية)

فالمدرس الذي لم يتخرج من معهد تربية (اي من دار معلمين) ويمارس هذه المهنة يسمونه معلماً غير فني ، وقد اصبح من مدة وجيزة مثل هذا المعلم نادراً دخوله سلك التدريس الا اذا كان مدرساً لمادة علمية او رياضية والمعارف بحاجة ماسة لمثل هذا المدرس لنقص لديها في مدرسي هذه المواد فمتجاوز عن الناحية الفنية .

اما بقية البلاد العربية فلا تزال معارفها مضطربة لم تنظم تنظيمها في مصر والعراق وسوريا على ما في هذا التنظيم من نقص ، اذ لا يزال يهيمن على شؤون التعليم والتربية وادارة الوظائف الفنية في تلك البلاد اناس لا يعرفون من امور التربية شيئاً وحتى انهم لا يحملون اية شهادة عالية في ناحية من النواحي العلمية وهذه الظاهرة تتمثل في سوريا بصورة ضيقة وقد اخذت في المدة الاخيرة تضيق اكثر فاكثر .

اما التربية الاجتماعية تربية الشعب فمنحطة الى ابعد حدود الانحطاط ومع ذلك ليس هناك من يفكر بأن يوجه هذه الامة توجيهها اجتماعياً سليماً لا من قبل الحكومة ولا الجمعيات الاجتماعية التي يقع على كاهلها

تبعة هذا التوجيه - ان كان هناك جمعيات اجتماعية -

فامر تربية هذه الامة بشعوبها المختلفة وتترك للقدر وليفعل القدر ما يشاء. لذلك ترى انقسام الاراء وتشتيت الافكار وتشعب المذاهب بصورة تروح الرجل الحصيف الحريص على امر هذه الامة. فانعدام التوجيه القومي ترك مجالاً للدعايات الاجنبية والمذاهب والافكار الهدامة من التغلغل في الامة العربية حتى اصبح كيائها مهدداً بالانهيار ووحدها مهددة بالتمزيق ان لم تكن ممزقة بالفعل.

والامة العربية الان تقع تحت امراض كثيرة اجتماعية وخلقية ولا سبيل الى القضاء عليها الا بالتربية. فبني تعيش في حياة واقعية مفككه متخلخلة مهلهلة قد عملت فيها ايدي عصور الانحطاط الطويلة التي مرت عليها فجعلتها نهباً للتواكل والتكاسل والعادات السيئة والمعتقدات البالية جعلتها منحلة ضعيفة يتقاسمها الاقوياء الذين عملوا ويعملون دائماً على ادامة تفككها وانحلالها. فاخذوا يبذرون فيها بذور الانحلال بذور التفرقة الطائفية والاقليمية والعنصرية بذور الظلم والاستبداد حتى اصبحت شعوباً في شعب وائماً داخل امية قويها يستبد بضعيفها وغنيها يحرم فقيرها حقه فضعفت فيها روح التضامن ونفشت فيها روح التفرقة والانانية والعمل للمصلحة الذاتية. وصارت شيعاً واحزاباً وفرقاً كثيرة، كل فرقة تعمل لغاية خاصة، وكل فئة تسمى في ناحية معينة. وقد اصطدمت فيها هذه الغايات والاغراض فكان التماحن وكان الخصام. ونتج عن ذلك ان ضاعت القوة التي تحفظ الكيان الاجتماعي ودب التفسخ في الامة العربية واهتزت اركانها منذرة بالانهيار. وما هذه الصيحات العاليات الداعية الى الوحدة والانسجام الصادرة عن الرجال الولمين في هذا العصر الا شعور

صادق بهذا الواقع المتفسخ واحساس قوي بالخطر المحرق الذي يحيط بالامة العربية الان وسيتجمع ويحط رحاله في عقر دارها فيما اذا استمرت في حياتها المتفسخة المتفرقة هذه . وما هذه الاضطرابات الاجتماعية وما هذا التدمير الصاعد من افواه الطبقات الشعبية المخلفة والشعور بالظلم الذي يتبعه عداء ضمني للطبقات الغنية في الامة الا نتيجة لضعف روح التضامن بين افراد الامة بعضهم وبعض من جهة وعدم الانسجام بين جماعاتها المختلفة من جهة اخرى .

وكذلك تسيطر على اكثر افراد الامة العربية نتيجة للتربية السيئة روح الانانية والعمل المصلحة الذاتية وعدم الاهتمام بالمصلحة العامة ، والنكوص عن القيام بالواجبات الاجتماعية ، وكثيرا ما يكون القيام بالواجب بصورة شكلية لا روح فيها حتى يقال ان الفرد قد قام بواجبه والامة العربية الان تخضع لعوامل ونواح تربوية مختلفة لتفسير ناحية منها حسب ما يبتغيه العربي الواعي الذي يريد ان تكون امته حية قوية تناطح السما كين سمواً ورفعة .

ان الامة العربية تخضع لعوامل تربوية لا تتماشى مع امانها وآمالها وطموحها في هذه الحياة . تخضع انواع تربوية لا تترك للانسجام والاتحاد مجالا كي يتسرب اليها . تخضع لعوامل تربوية تبذر في نفوس افرادها بذور الخلاف الفكري بذور الخلاف العاطفي ، بذور الخلاف في العادات والتقاليد والاخلاق . ونحن نريد من التربية ان توحدنا وتوحد اهدافنا وغاياتنا عن طريق وحدة التعليم ووحدة المناهج ووحدة الطرق والاساليب التربوية ووحدة الثقافة لدى المعلمين والمدرسين .

وهذا لا يعني اننا نريد ان نصب ابناء الامة العربية في قلب واحد من

التفكير ونجعلهم نسخة واحدة من كتاب واحد ، كلا ولكننا نريد ان
نجعلهم وحدة كاملة من الوعي العربي المتطلع الى المجد ونسخة واحدة من
كتاب الشعور القومي المتوثب يضمهم بين دفتيه مكونا منهم سطوراً من
نور للمجد العربي الخالد

نريد من التربية ان تخلق الامة العربية خلقاً جديداً وتلبسها ثوبا قشيباً
زاهياً ، نريد ان تخلق في افرادها ضميراً خلقياً قد وهنت خيوطه الآن
وتهلل نسيجه يكون لهم رادع ولاعمالهم رقيماً ، نريد ان نخلق افراداً
يعيشون عيشة اجتماعية حقيقية بحيث يندفعون الى العمل الاجتماعي بنشاط
وقوة وسخاء لانهم يدركون ان لا قيمة للشخص الا اذا استطاع ان يساعد
ابناء امته على رفع مستواهم الاجتماعي ، نريد ان نوجد افراداً قد انطوت
نفوسهم على العواطف النبيلة يندفعون الى العمل المثمر المنتج بحموية من
ذاتهم ونشاط من روحهم ، نريد ان ننشيء افراداً اجتماعيين لان الحياة
الاجتماعية الصحيحة هي كل ما نطلبه ونسعى اليه من التفوق والكمال ،
فاذا كان المجتمع فقيراً فجميع افراده يشاطرونه فقره واذا كان ضعيفاً منحطاً
فجميع افراده كذلك يشاركونه هذه الصفات بالرغم عنهم

ونحن نريد كذلك ان نبعث بالتربية قوميته ذات الجناح المبيض ،
نريد ان نحقق وطنيتنا المتلاشية في النفوس الهزيلة والقلوب الضعيفة ، على
ان تدسر بل هذه القومية وتلك الوطنية بانسانية سامية خفاقة اللواء عالية
السناء ، نريد ان نخلق من ابنائنا رجالاً يعرفون كيف يتغلبون على المصاعب
والآلام بشجاعة فائقة ، نريد ان نوجد اتساقاً عاماً وانسجاماً وتكاملاً بين
نواحي حياة افراد الامة العربية بحيث تنجبه حيائهم دائماً الى الكمال الخلقي
والروحي والعقلي ، وهذا قطعاً يقتضيها جهاداً مريراً متواصلاً يجب علينا

نحن ابناء هذا الجيل وابناء الجيل الصاعد ان نتحمله بصبر وجلد في سبيل خلق الامة العربية الجديدة .

هذا وصف موجز لما هي عليه حالة التربية في المدرسة والمجتمع العربيين
ما التعليم فلا بد لي من ان اتحدث عنه لان التربية والتعليم منلازمان فلا
يمكن ان توجد تربية دون ان تصحب بالتعليم ولكن قد يوجد تعليم في
جو غير صالح من الناحية التربوية الصحيحة كما هي الحال في البلاد
العربية الآن .

فالتعليم ذو اثر في حياة الامة وحياة الافراد لانه السبيل الوحيد لرقى
الجماعات والافراد . وان ما نشاهده من رقي الحضارة وتقدم المدنية ورقى
وسائل العمران والصناعات وكثرة الاكتشافات ان هو الا نتيجة العلم
والعلم هو السبيل الوحيد للتحرر الداخلي للافراد والخارجي للامم ،
يححر الفرد من سخيخ انعامات والتقاليد ، يحرره من عبودية مستعبدية
او مستغليه ، يحرره من الوهم والخوف والجبن ويدفمه الى ان يطلب
حريته كاملة من مغتصبها . وكذلك الامم اذا كانت متعلمة فلا سبيل الى
استعبادها مطلقاً . فلو اطلقنا النظر نبحث عن امة متعلمة مستعبدة لما
وجدناها ولكن نجد امماً كثيرة جاهلة راسفة في قيود العبودية واغلال
الذل والخنوع . وقد قال توماس جيفرسن الرئيس الثالث للولايات
المتحدة « ان الشعب الذي ينتظر ان يكون حراً وهو جاهل ينتظر ما لم
يحدث ولن يحدث »

فاذا ارادت الامة العربية ان تتحرر من عبودية مستعبدية ، اذا
ارادت ان تحطم الاغلال والقيود فعليها ان تسرع في نشر العلم وتعليمه
بين جميع طبقات الامة . عليها ان تعلن حرباً لا هوادة فيها على الجهل

والامة ، فنحن في الشرق العربي يكاد يقتلنا الجهل لانه لا يزال سائداً
 الاكثرية الساحقة من الشعوب العربية ، ونسبة التعليم نسبة ضعيفة جداً
 لديها وخصوصاً في بلاد نجد والحجاز واليمن والمقاطعات الواقعة تحت
 النفوذ البريطاني من شبه الجزيرة والبلدان الواقعة تحت النفوذ الافرنسي
 وغيره من افريقيا . ورغم ذلك لا يزال كثير من حكام البلاد العربية
 وذوي الشأن فيها يتخوفون من تعليم الشعب وينظرون بوجل الى انتشار
 التعليم وانتشار الوعي القومي والاجتماعي بانتشاره . ولا اكون مغالياً
 اذا قلت ان هناك اناساً يحتلون مركز القيادة في بعض البلدان العربية
 يعتقدون مبدأ (علم الشعب اليوم يكن ضدك غدا) وكذلك هناك اناس
 ممن يدعون انهم مفكرون وانهم في مركز القيادة الفكرية من هذه
 الامة يعتقدون كما يعتقد روسو وهو واياهم على ضلال « أن الرجل الفقير
 ليس في حاجة الى التعليم » . نعم ليس الفقير في حاجة الى التعليم اذا اردنا
 ان تبقي الامة متأخرة منحطة فقيرة مستعبدة ذليلة تسير كما تسير السائمة
 يدفعها الراعي . اما اذا اردناها امة متقدمة متحضرة طامحة الى المجد
 وثابة الى الملاخلة مبدعة تسير الامم في حضارتها وتكون في المقدمة
 ترحه نفسها بنفسها يجب علينا ان نسرع الى تعميم التعليم والتربية حتى
 تشمل جميع افراد الامة دون استثناء احد .

فمن الجريمة التي لا تغتفر بحق الامة العربية الا يسمى قادتها الى تعميم
 التعليم وتوحيد بين جميع افراد الشعب غنيها وفقيرها سواء بسواء . وقد
 قال اللورد ما كولي وهو كاتب واديب انكليزي في خطبة له في مجلس
 العموم البريطاني « اني اعتقد ان من حق الحكومة وواجبها ان تعمل على
 توفير وسائل التعليم للفقراء من الناس ، فمن الواجب على الحكومة ان

تحمي رجالنا واموالنا من الخطر . وان الجهل المطبق المنتشر بين العامة من الناس هو السبب الرئيسي للخطر على الافراد وممتلكاتهم ، يتضح لي كل الوضوح ان من له الحق في ان يشنقهم ، عليه الواجب في ان يعلمهم اذا كان من الواجب ان تعاقب المجرمين فمن الواجب عليك ان تعلمهم فليس معنى الحكم الجلد والشنق فيحسب (١)

اذن من الجريمة بحق الفرد والجماعة الا تسمى الدول العربية القائمة الى تعميم التعليم والتربية معاً في داخل المدرسة وخارجها اذ انهما حقان من الحقوق الانسانية يتعلقان بعنق الدولة وهي مطالبة بهما امام الفرد والمجتمع والانسانية .

وكذلك من الجريمة ان تكون هناك انواع متعددة من التعليم بالنسبة لطبقات الامة اى بالنسبة لغنيها وفقيرها ، فالفقير في جميع البلاد العربية لا يستطيع ان يتعلم واذا استطاع لا يجد مجالاً في بعض البلدان غير ذلك (الكتاب) الذي اكبر مميزاته انه يخرج انصاف اميين ويقتل مستقبل الولد الذي يدخله .

واذا اوتي الفقير جرأة وشجاعة واندفاعاً الى العلم فانه يتعلم تعليماً ابتدئياً في بعض البلدان وتعليماً التزامياً في بعضها ، ومستوى هذا التعليم الاخير ادنى من مستوى التعليم الابتدائي المخصص للتلاميذ الذين باستطاعتهم دفع مصاريف التعليم وشراء الكتب ، ونظام هذا التعليم لا يسمح لصاحبه مهما اوتي من الذكاء والفطنة ان يتابع طريقه في التعليم لان منهجه يخالف منهج المدارس الابتدائية وهو اضعف مستوى منه . وقانونه لا يسمح للتلميذ في متابعة درسه في المدارس الثانوية فهو يقف سداً منيعاً دون استفادته

من تعليم آخر غيره ويحتم عليه بعد خروجه منه وانغماسه في معترك الحياة ان يرجع الى الامية والجهل القاتل لان ذلك التعليم لا يشقف عقلا ولا ينضج تفكيراً بل لا ينقذ من الامية البغيضة

وقد ادركت بعض البلدان مساويء هذا التعليم فعملت على انقائه وحولته الى تعليم ابتدائي مجاني . ثم خطت خطوة اخرى لانستطيع الا ان نقول عنها انها خطوة عظيمة فاقرت مجانية التعليم الثانوي والفني . ولكن هذه الخطوة على عظمتها ناقصة اذ ليس التعليم اجباريا في هذا البلد وليس جميع الاباء يرسلون ابناءهم الى التعليم وذلك لان هؤلاء الاباء مع ابناءهم يحتاجون الى ضرورات الحياة الاولى من مأكل وملبس ، فهم في شغل بهذا عن التعليم . فاذا ارادت الحكومة ان تجعل جميع الاباء يرسلون ابناءهم الى المدارس فلتعمل على رفع مستوى الحياة لامثال هؤلاء وعند ذلك نستطيع ان نقول ان التعليم المجاني الابتدائي والثانوي عام شامل ونستطيع ان نقول حقاً انها خطوة جبارة وجريئة تلك التي اتخذتها حكومة هذا البلد .

وهناك في بعض البلدان العربية ظاهرة خاصة في هذه الناحية ، وهي ان التعليم الديني لا يتعلمه الا ابناء الفقراء بل وابناء الفلاحين منهم فحسب فاكثر رجال الدين في هذه البلدان هم من طبقة خاصة اهم ميزاتها الفقر المارقع ، وما ذلك الا لان هذا التعليم مجاني ويمكن لطالبه ان يستحصل على بضعة دريهمات يسد بها حاجته الى الطعام ويألفها من حاجة مؤلمة

لذلك اصبح الناس في هذه البلدان ينظرون الى هذا التعليم والى اربابه وطلابه نظرة فيها كثير من المعاني .. وقد اثرت هذه النظرة الاجتماعية الى هذا التعليم في نفوس طالبيه ورجاله فاصبحوا يشعرون بألم نفسي عميق يحز في قلوبهم وبأكل ارواحهم . وليس بعيداً ان تنحرق نفوسهم

ان لم تكن قد انخرفت بالفعل واصبحت مفعمة بفيض عميق مربع للعجم
الذي تحيا فيه .

لهذا لم اكن مغالياً عند ما دعوت الى اقتلاع هذا التعليم من جذوره
واحلال محله تعليماً جديداً ذا منهج وخطة جديدة . بعيد عن التفرقة
الاجتماعية هذه .

فالامة العربية الان في امس الحاجة الى تربية صحيحة قوية وتعليم
شامل موحد ينتشلها من الهوة التي تردت فيها الى قمة المجد والرفعة
والسؤدد .

لقد مرت قرون على الامة العربية وهي ترسف في اغلال من التأخر
التربوي والتعليمي والضعف المادي والمعنوي فكان ذلك فرصة للامم
القوية لان تستغل ضعفها وتأخرها فارسلت مدارسها الى البلاد العربية
لتعلم ابناء العرب وتنشئهم تنشئة رضاه المصالح الاجنبية . وقد قامت هذه
المدارس بالواجب المطلوب منها فاخذت ترضع الناشئة العربية بلبنائها وتغذوهم
بافكارها . فشب في الامة العربية اولئك الرجال الذين درسوا في تلك
المدارس وانطبعوا بطابع المدرسة التي تلقوا فيها تعليمهم وتربيتهم او
بالاخرى طبعوا بطابع الدولة التي تنتمي اليها المدرسة . فكان ولا يزال
لدينا رجال عرب في ظاهرم اجانب في تفكيرهم وسعيهم لخدمة امة المدرسة
التي انشأهم . وقد كانوا ادوات لتنفيذ اغراض الدول الاستعمارية في
البلاد العربية وللأسف الشديد لا تزال هذه المدارس تعمل حتي الان في
البلاد العربية بنفس الخطة ونفس الروح والمبدأ الذي كانت تعمل به منذ
ان وضعت اقدامها في هذه البلاد المقدسة .

فمن اوجب الواجبات على الامة العربية ان تسرع الى تطهير بلادها

من جرائم هذه المدارس اذا ارادت ان تحيا امة متحدة يسود افرادها
الاتفاق والانسجام والاتحاد والوئام .

وهذه المدارس التي تنفث السموم بين ابناء امتنا ليس لها وجود الا
في البلاد الضعيفة المغلوبة على امرها ونحن لا نريد ان نكون منذ الان
امة ضعيفة مغلوبة على امرها تلعب بها مثل هذه المدارس وحكوماتها . بل
نريد ان نكون امة قوية غالبة متحدة متمسكة ذات تربية واحدة وفكرة
واحدة وعقيدة واحدة ، هي القومية العربية الممجدة .

لننظر الى الحكومات القوية والحريصة على قوميتها وسيادة الانسجام
بين افرادها ، هل نرى لديها مثل هذه المدارس تسرح وتمرح وتنفث
سمومها في اقدس شيء عندها . في القلوب الطاهرة من ابناءها وبناتها . .
كلا بل نرى تعاليمها واحدا ذا نظام واحد ومنهج واحد وهدف واحد
وتوجيه واحد ليصهر الامة في بوتقة واحدة ويصبها في قالب واحد
فتكون كتلة واحدة من الشعور القومي والعاطفة الوطنية التي نحن
العرب بامس الحاجة اليها .

ولقد شعرت الحكومات التي تحرص على وحدة شعبها وامتها بخطر مثل
هذه المدارس فطردتها من ارضها شر طردة لان خضوع المدرسة للظواهر
لبرنامج الدروس التي تسير عليها معارف البلاد لا قيمة له ازاء التوجيه وبث
المبادئ والافكار في النفوس الغضة اللدنة ذات القابلية الشديدة
للاستهواء .

والذي يدل على الخطر الشديد لهذه المدارس ان الحكومة
الافرنسية حرمت عليها العمل في فرنسا بينما اباحت لها العمل في
مستعمراتها واخذت تشجعها وتنفق عليها في تلك المستعمرات اموالا

طائلة . وهذا اوضح دايـل على سوء نية هذه المدارس وخطرها .

ولقد جنينا من هذه المدارس اسوأ الثمار وافجع الحوادث واعظم المصائب وافدح النكبات ، فقد آتت هذه المدارس اكلها اليانة وثمرها الشهي الذيـد بالنسبة للامم الاجنبية ، والا كل الخـط بالنسبة للامة العربية ولا اريد ان اضرب امثلة فالامثال كثيرة نستطيع ان نستخرجها ونستخلصها مما مر من احداث ومحن على الامة العربية منذ ثلاثين سنة ونيف حتى الان . فجميع ما اصاب الامة العربية من كوارث ونكبات يرجع الى هذه المدارس او بالاخرى الى ابناء هذه الامة المتخرجين من هذه المدارس المتعاونين مع الاجنبي على امتهم ووطنهم

وافجع مصاب اصـاب البلاد العربية يتجلى فيه اثر هذه المدارس وما غرسته في نفوس ابناءها هي فاجعة فلسطين . فقواد الامة العربية في هذه المعركة لم يكونوا قد تلقوا تعليمهم في مدرسة الامة العربية ، ولم يكونوا قد تلقوا تعليمهم في مدرسة الصحراء العربية القائمة على معاني الشهامة والانفة والاباء والاتحاد عند الشدائد وانكار الذات في سبيل المجموع . لم يكونوا متصفين بصفات او ائـك الـباء الـمجاد الذين خرجتهم مدرسة الصحراء فداسوا العالم وهم ضعفاء ووطئوا المعمور وهم اقلاء .

التربية الاجنبية تعمل دائماً على غرس الذل والخنوع في نفس مواطننا تعمل على غرس الانحلال والضعف غرس الجبن والتردد والتخاذل في قلوب ناشئتنا . وقد كانت هذه الصفات تسربل من عالج قضية فلسطين ابان التهاب جذوتها لذلك وصلت الى هذا المصير المؤلم الذي نراه . وسيكون لهذه القضية نتائج اخرى خطيرة جداً بالنسبة للبلاد العربية اذا لم تقدر كها الامة تداركاً حازماً .

واقدر كان لهذه المدارس اثر سيء اخر - وما اكثر سيئاتها - غير
الاثر القومي . ويدور هذا الاثر في المعايير والمفاهيم الخلقية التي تسير عليها
فهي تسير على مفاهيم خلقية تختلف اختلافاً بيناً عن المفاهيم الخلقية للامة
العربية . وهذه المفاهيم - مفاهيم هذه المدارس - تختلف وتعدد ايضا
بتعدد واختلاف جنسيات هذه المدارس الكثيرة .

لذلك اضرب لدينا حبل المفاهيم الخلقية واصبحنا في بلد لا تجمع
معايير خلقية واحدة كل فئة من شبابه ورجاله المثقفين تنظر للمشاكل
والحوادث من ناحية خاصة وتفهمها على شكل خاص وتصدر حكمها على
هذه الحوادث طبقاً لمفهومها الخاص ايضا . فانقسمت الامة واضطربت
حياتها الاجتماعية واتسعت بذلك الهوة بين افرادها وطبقاتها واصبحت كل
طبقة او فئة تصدر اعمالها وتحكم على اعمال غيرها تبعاً لمفهومها الخلقى
الخاص الذي غرسته في نفوسها مدرستها .

فنحن الان في حاجة الى تربية جامعة تصب الامة العربية باسرها في
قالب من المفاهيم الخلقية الموحدة . مفاهيم بعيدة عن الانحلالية الغربية ،
مفاهيم نابذة من اخلاقنا القديمة مسيرة لتطورنا ونهوضنا وحضارتنا ،
مفاهيم مبدعة خلاقة لا جامدة متحجرة عقيمة

والامة العربية الان - بصورة عامة - لديها من روح الخير والعمل
والاندفاع ما يجعلنا نأمل من امكان بعضها ونهوضها رغم ان اندفاعها نحو
الخير والاتحاد والعمل والنهوض اندفاع ضئيل غير منظم اذ ان الاهواء
والمطامع لا تزال تملك على الفرد نفسه وتسيطر عليه الشهوات دون ان
يفرق بين الرغبة الصالحة والنزوة الطائشة ، فليس لاكثر الافراد مقياس
ادبي لتصرفهم او مبدأ خلقى لاعمالهم يضبطها ويوجهها . والحياة التي

لامعايير خلقيه لها او التي تكون مفاهيمها الخلقية مضطربة متقلبة حسب الظروف والاحوال تكون حياة حقيرة ، جافة مجذبة منحطة وهي مؤلمة مريرة الوخذ في حنايا الضلوع حتى ولو كانت حلوة المذاق في الفم .
وابناء هذا الجيل يولدون في مجتمع قد وهنت تقاليده ومعايره الخلقية والادبية ولا سبيل الى بناء ودعم هذه المعايير وتقويتها وتمتينها وجعلها سامية رفيعة الا بالتربية ذات المثل العليا .

يجب ان نخلق في نشء الامة العربية عن طريق التربية مثلاً علياً يتفانون في سبيل تحقيقها ، مثلاً تهدف الى خلق الامة العربية خلقاً جديداً له مكانته السامية بين الامم ، مثلاً تبين رسالة الامة العربية في هذا العالم وتوضح مقدار التبعة الملقاة على كاهلها .

وهذه المثل الان تستصرخ ابناء الامة العربية لاعتناقها وقيامهم بواجبهم تجاهها . فللامة العربية رسالة رفيعة بين الامم خليق بكل عربي ان يشعر بها وبحسامة التبعة الملقاة على عاتقه في سبيل اداء هذه الرسالة .

وهذا يقتضي منا نحن ابناء هذا الجيل ان نكسر حياتنا في سبيل بلوغ ذلك وان نصمم على تحقيقه ونحن متسربلون بروح من التقشف والعفة والعنف في حياتنا . يقتضي منا ان نتعصب لمبادئنا ومثلنا العليا ، يتطلب منا ان نكون عنيفين مع خصومتنا مندفعين في تحقيق امالنا ، يتطلب منا ان تكون الارادة هي المحكمه فينا وفي اعمالنا .

فليكن لنا اذن مثلاً عالياً واحداً هو خلق امة عربية جديدة لها مكان الصدارة بين الامم عظيمة قوية جبارة وان تكون لنا ارادة واحدة تسير بنا الى تحقيق تلك الغاية النبيلة .

والامة العربية الان لديها من روح التضحية والصبر في سبيل بلوغ

العزة والمجد ما يفوق ما لدى اعظم الامم لانها ذاقت مرارة التحكيم
والتعسف والظلم احيالا طويلة . ذاقت مرارة الحرمان والام من امم اخرى
تكمتها - وما تزال تذوق - افلا تذوق التعسف وعنف الحياة في سبيل
كرامتها وعزتها ومجدها .

بلي ان الامة العربية على اتم استعداد لان تضحي وان تفرق في
التضحية على شريطة ان تجد ذاك الرجل الذي نشأ على خلال مدرسة
الصحراء العربية يقودها الى مذبح التضحية ويقدم لها كل ما تملك نفسه
وروحه قرباناً لها وعهداً منه في سبيل الوصول الى ما تبغيه من عزة
وكرامة ومجد وخلود .

ان الامة العربية تبحث الان عن الرجل العظيم الذي سيجمع شتاتها
ويضمها تحت لواء واحد ثم يسير بها الى المجد والسود ، تبحث عن نبي
جديد في تربة ارضها الخصبة بالرجال . فمساها تجد وسوف تجد .

ان ثورة اجتماعية وقومية حادثة وشيكا في البلاد العربية ، فهي في
فوران روحي وثورة عاطفية جياشة قوية ولكنها مكبوتة مضغوطة .
ولكن ما اسرع ما تنقد النار وتنتشر فتعم البلاد من ادناها الى اقصاها .
ومن ثم تكون بضعة رجال في البلاد العربية نارها الموقدة وخطبها الجزل

فعلينا نحن ابناء هذا الجيل ان نضع نظاما يخلق الامة العربية خلقاً
جديداً وان يقودها نحو التطور السريع المحكم دون ان يحدث ارتجاجا
عنيفاً في حياتنا الاجتماعية وينشيء ابناء هذه الامة على ان يكونوا صالحين
للميش وفق هذا النظام متلائمين معه . ونعني بهذا النظام ان يكون خائفاً
وموجداً مدنية عظيمة مطبوعة بطابع الامة العربية وخصائصها ومميزاتها
التي وهبتها لها امكانيات ارضها وما يفيض عن روحانياتها من فضائل وسجايا

يجب ان نعمل على تنشئة ابنائنا على نظرة جديدة وطريقة جديدة في الحياة واضعين نصب اعيننا بلوغ مثلنا الاعلى الذي يجعل التضحيات في سبيله هينة سارة والعقبات والصعوبات مقوية للعزائم الصادقة الصارمة ويخلق في الفرد استعداداً لبذل الجهود المتواصلة المتزايدة ، كلما طلب منه بذل اي مجهود واضعاً نصب عينيه رفعة الامة العربية واعلاء شأنها

ومثلنا العليا هذه يجب ان نلتف حولها احلام فتياننا وفتياتنا وتدغدغ امانهم وتداعب خيالهم بحيث يكون اثرها فيهم اثر السحر وفعلها فعل الحُر تسكرهم وتنشئهم وتضفي على حياتهم الوانا من السمو لا يحد .

وليس ظهور الحياة بشكلها الحاضر لدينا جافة متحجرة متآخرة الا لخلوها من المثل العليا . فاكثر شبابنا يسرون في حياتهم دون هدف سام ومثل اعلى يتطلعون الى تحقيقه ، ومتى تجرد الشباب عن المثل العليا والاهداف السامية انحطت عزائمهم ووهنت قواهم وتأخرت الامة تبعاً لذلك .

ولقد كان اكثر شبابنا يلهو ويعبث ويقتل الوقت على مائدة « الكونسكان » في حين كانت قضية فلسطين في اوج اتقادها وشدة ضرامها . ولا اقول كل الشباب اذ لا تخلو الامة من شباب عاملين واعين نذروا انفسهم فداء لامتهم ولكنهم ويا للأسف رجعوا من المعركة والالم يأكل اكبادهم والحسرة تحرق رووحهم ، لانهم وجدوا النية غير خالصة والطوية غير سليمة ، وان بضمة رجال يتولون قيادة المعركة ، ليسوا من الامة العربية في شيء بل هم عملاء لمدارسهم التي تخرجوا منها عملاء لمن رباهم ليخدموا مصالحه واغراضه . فرجع هؤلاء الشباب وقد انطوا على اضلاعهم من الالم المرير .

فيجب علينا نحن ابناء هذا الجيل وقد قادنا من قادنا الى هذا المصير

الاليم . ان نهب لتربيتنا وتعليمنا وحياتنا الخاصة والامة حيوية تنفصها
هي حيوية المثل الاعلى بحيث يكون هذا المثل محدوداً واضحا يهدي سلوكنا
ويهذب نفوسنا ويسيطر على حياة الافراد فينا ويصهرنا في بوتقة واحدة
فيخرجنا امة متحدة متماسكة الاجزاء لا تمزعزع امام النكبات والمصائب
وذلك عن طريق التربية والتعليم . فالتربية والتعليم خادمان يقومان بكل
ما يطلب منهما شريطة ان يحسن استخدامهما وان يكونا مقترنين بمثل
اعلى ، ومثلنا الاعلى هو الامة العربية فوق الجميع .



الغرض من التربية

لكل امة غرض خاص من تربيته وتعليمها ترمي الى تحقيقه ،
ويكون هذا الغرض مستمداً من حاجتها الحيوية والضرورية في الحياة ،
روحية كانت هذه الحاجات او مادية .

فقدماً كان الغرض من التربية عند الاسبرطيين مثلاً هو خلق الجنود
الشجعان ذوي الاجسام القوية ليستطيعوا ان يذودوا عن وطنهم عند
الشدائد وذلك لان ظروف هذه الولاية كانت تقضي عليها بالاستعداد
للحرب دائماً واعداد الفرد لها سواء كان الفرد صالحاً للجندية او غير صالح
وكانوا في سبيل ذلك يسمحون بقتل الاطفال ضعاف البنية الذين يقرر مجلس
الدولة انهم لا يتحملون حياة الجندية القاسية . وكانوا من اجل ذلك ايضا
يسمحون بالحياة الاشتراكية حتى في الزواج لان الغرض هو اعداد افراد
يتبعون الدولة ويخدمونها ويقومون بواجباتهم تجاهها بصرف النظر عن
ابائهم وامهاتهم . وكذلك كانت التربية عند الآثينيين تتمثل في خلق
الشبان الاقوياء الا انها كانت اكثر عناية بتنمية المعارف والمدارك والشعور
بالجمال وهي كذلك مثل سابقتها تعمل على اخضاع الفرد لامور الجماعة .
في حين انها عند الرومان كانت ترمي الى تقديم الشرف العسكري

فاذا كانت الامة قد استوفت حاجاتها الضرورية فانها تتطلع الى تحقيق الكمال في ابناءها ، فلا غرابة اذا رأينا الغرض من التربية في بعض الامم الحديثة يرمى الى الوصول بالفرد الى الكمال او ما يقرب منه ، او بعبارة اخرى الى تكوين شخصية الفرد المتكاملة كما نادى بذلك سبنسر الانكليزي وديوى الامريكي .

اما الامة العربية في العصر الحاضر فانها تسير دون هدف بين او غرض واضح في تربيتها وتعليمها . فلو انك سألت اي مدرس ، حتى في البلاد التي اخذت في وضع مناهج تربوية والتي اخذت تلقن مدرسيها بعض المبادئ التربوية الحديثة - عن الغرض الذي يهدف اليه في تربية النشء وتعليمهم لتردد في اجابتك او لا جابك صراحة ان ليس هناك غرض واضح يعمل له .

والامة العربية في الوقت الحاضر لها حاجات ضرورية كثيرة لازمة لحمايتها ضرورية لبقائها . فلا بد لها من هدف او غرض تربوي يعين تلك الحاجات وينم عن تلك الاغراض والاهداف ويرسم الخطط والمناهج . فاذا اردنا ان نبين الغرض الذي يجب ان تسعى الامة العربية الى تحقيقه لا بد لنا من ان نلقي نظرة على حياة الامة العربية ونستقري واقعها لتتعرف على حاجاتها الضرورية ومطالبها الحيوية . ثم نضع غرضها التربوي على ضوء كل ذلك .

فالامة العربية الان تعيش في حياة واقعية ذات افق ضيق ومجال مضطرب وتفكك شنيع وانقسام بغض في حياتها الاجتماعية والسياسية . فلا بد لها من ان تهدف في غرضها التربوي الى القضاء على ذلك حتى تستطيع ان تعيش حياة اجتماعية واسعة الارضاء خالية من مساوي الحاضر

متحررة من التقاليد البالية والمعادن السخيفة راقية سامية عن الكثير
من النواقص والمآهات التي يتسم بها مجتمعها الحالي . وحتى تستطيع
ان تحيا حياة سياسية موحدة لا اثر للانقسام فيها .

والامة العربية الان تعيش في واقع خلقي واهي الاركان ضعيف
البنيان منحط القيم مزعزع المفاهيم رغم انها ذات تاريخ خلقي سام مليء
بالمفاخر والاعجاد . لذلك يجب ان تبقى وهي تريد ان تبقى نهراً خلاقاً
يستضاء به في دياجير هذا الظلام الخلقي القائم الذي يطغى على العالم بأسره
في العصر الحاضر .

والامة العربية الان ضعيفة في قوميتها ضعيفة في التعصب لها واكاد
اقول ان الغالبية العظمى من افرادها لا يشعرون بقوميتهم شعوراً واضحاً
بل يستطيع ان اقول . ان هذا الشعور ميت لدى كثير من طبقات الامة
اللهم الا بعض الشباب الواعين الذين اخذوا يعملون لرفع القومية العربية
والتمسك بها واعلاء شأنها .

وضعف القومية العربية في نفوس ابنائها ناتج عما مر على الامة العربية
من ظروف الانحطاط الطويلة الفاسية ، والاستعمار الاجنبي الغاشم . وعما
بهر عيون ابناء العرب من رقي الغرب وتقدمه وقوته ، وعن انتشار المدارس
الاجنبية في البلاد العربية وبثها روحاً معادية الروح القومية وتدريبها
تاريخ امته ومفاخرها ، واهمالها تاريخ العرب او تدريس القشور منه
مع ابراز السيئات والمطاعن بشكل واضح يذري . ثم محاولتها دائماً الحط
من شأن الامة العربية ومجدها الخالد .

ولا بد اذن للامة العربية من ان تحي قوميتها وتبعثها خفاقة اللواء عالية
السناء وتزيح من طريقها كل ما يعترضها من عثرات واشواك .

ورب قائل يقول : كيف تدعو الى القومية والتعصب لها في حين تسود العالم فكرة الانسانية والدعوة الالمية ، ومبدأ القومية والتعصب لها يجعل سداً فاصلاً بين الامم ويبعدها عن التقارب والتفاهم فاقول اننا نحن العرب امة ضعيفة مريضة متفسخة منقسمة على نفسها شيعاً وطوائف ولا يستطيع الضعيف المريض الواهي القوي الذي تكاد اعضاؤه تتخاذل وتفكك ان ينهض ويقوى الا بدواء قوي فعال يبعث الحياة في جسمه والحيوية في اعضائه فتقوى وتشتد وتنشط على القيام بواجباتها . وهكذا القومية فهي الدواء الناجع للامم الضعيفة .

فكل امة ظروفها مثل ظروف الامة العربية وتريد ان توجد لها كيانات وشخصية بين الامم الاخرى وتريد ان تكون قوية عزيزة الجانب لا بد لها من ان تبعث قوميتها من مرقدتها وتمسك بها وتعصب لها ولبنائها وذاتها . كما فعلت المانيا وغيرها من الامم .

فنحن نريد ان نجعل التمسك بالقومية والتعصب لها وسيلة للنهوض والانبعاث كي نستطيع بلوغ مجدنا التالذ وعزنا الغابر .

وقوميتنا هذه ليست ضيقة محدودة بل هي واسعة بحيث تشمل الحياة باوسع معانيها وتستهدف الامة بجميع احوالها وترمي الى انماء قوى الامة العربية الروحية ورفع مستواها المادي والاجتماعي والعقلي والسير بها الى ابعد مرمى في طريق الحياة المثلى ، فهي اذن وسيلة للنهوض والتقدم كما قلت . ونهوض امة كالامة العربية وتقدمها في مجال الحضارة يكسب الانسانية تقدماً ورقياً وازدهاراً . فمميزات الامة العربية منضمة الى مميزات الامم الاخرى تكون تلك الباقية الرائعة من زهور خصائص الامم المختلفة النابتة في حديقة هذا الوجود . والتي اذا ما رفعنا تلك الخصائص من بينها

اعتبرت خصائص ومميزات الانسانية ناقصة، ولا كمال لها الا بانضمام
خصائص ومميزات سائر الامم بعضها الى بعض .
والامة اذا كانت متأخرة منحنطة لا تستطيع ان تفصح عن خصائصها
وتكشف عن مميزاتها فتبقى عبقرياتها مغمورة مدفونة وتبقى الانسانية في
نقص وتأخر .

وقوميتنا هذه ليست قائمة على الدم والعرق ولكن اكثر ما تقوم على
اللغة والعادات والتقاليد الموروثة ، تقوم على التاريخ المشترك والآمال
والاهداف والعواطف المشتركة ، تقوم على البيئة والارض التي استطاع
ان يتركز فيها العربي ويجعلها وطناً قومياً له قروناً متطاولة ويصبغها
بصبغته الخاصة لانها تشبه او قريبة الشبه من موطنه الاول وبيئته الاولى .
فالاطان العربية الان يتصل كل منها بصحاري ممتدة طويلة وهذا الاتصال
هو الذي جعل العربي يتمكن من التمرکز فيها .

كما ان خلو البلاد الاخرى التي فتحها العربي من الصحراء جعله
لايستطيع ان يتركز فيها تمرکز تاماً ويصبغها بصبغته القومية رغم
قوة سيطرته وقوة الدين الذي حمله الى تلك البلاد .

فانصال هذه الاوطان والبيئات بصحاري كانت تذكر العربي دائماً
بمجاله الواسع وبيئته الاولى ، فاذا ما حن واشتاق قفر اليها وقضى لقلبه
لبانة الشوق ثم عاد الى مجال الحياة المضطرب الواسع مجال العيش .

ثم ان الامة العربية منقسمة الى عناصر متباينة كما قلت سابقاً كل
عنصر منها يتجه وجهة خاصة وينكر تفكيراً خاصاً ويحمي حياة خاصة ،
وهي مؤلفة من طوائف دينية وجماعات مذهبية كل جماعة منها تنفر من
الاخرى فهل من لوم علينا اذا حاولنا ان نقضي على هذا التشتت وهذه

التفرقة وحاولنا ان نجتمع جميع هؤلاء تحت شعور موحد من العاطفة القومية وجعلناهم كتلة صماء تقف في وجه الاحداث والكوارث صفا واحدا وتسلك في الحوادث والملمات سلوكا واحدا ، لاسلوكا متباينا مختلفا كما كانت الحال في فلسطين .

ثم ان قوميتنا لا تمنعنا عن ان نكون انسانين واني اعتقد ان لا انسانية ان لا قومية له ونحن نريد ان نكون قوميين اولاً ثم انسانيين ثانياً لان الذي يشعر بانحطاط امته وتأخرها يشعر بانحطاط الانسانية وتأخرها كذلك ، والذي لا يشعر بعظمة امته ويعمل لها لا يشعر بعظمة الانسانية ويعمل على ادامتها .

فالدعوة الالمانية في مجتمع قومي متأخر ليس فيها اشاعة للاخاء الانساني بل تهديم للامة وقوميتها ، ونحن نريد ان نبني امتنا وقوميتنا وان نجعل هذه الامة تحمل مشعلاً جديداً للانسانية وتقدم رسالة جديدة للحضارة . ونريد ان نكون انسانيين ايضاً ولكن ضمن نطاق قوميتنا . فاذا ارادت هذه الانسانية ان تصرفنا عن قوميتنا او تساومنا عليها تجافينا وابتعدنا عنها ولستنا في ذلك بملمومين .

وقد انتشرت الفكرة الانسانية بصورة واسعة بين فلاسفة الالمان في النصف الاخير من القرن الثامن عشر حتى قال احد مفكريهم (شليجل) « من العبث ان نحاول تكوين امة المانية فالاجدر بنا ان نأخذ بالفكرة العالمية ونخدم الانسانية » ولكن ما لبثت ان داستهم جيوش نابليون فادر كوا عند ذاك خطأً وخطر فكرتهم وهم تحت سنابك خيله وحوافر جياده . ثم كانت بعد ذلك يقظة قومية جبارة وحماسة وطنية مندله قادت المانيا الى الاستقلال والوحدة ثم الى التموه والعظمة .

وانتقد روسو فكرة الانسانية او العالمية انتقادا لازعا بقوله « ان بعض الناس يحبون ابناء الصين لكي يتخلصوا من الواجبات الفعلية التي تترتب عليهم من جراء حب ابناء وطنهم الاقربين) . كما ان روزفلت الكبير رد على تولسنوي الداعي الى الفكرة الانسانية بقوله (يجب ان نعرف جيداً ان الرجل الذي لا يفرق بين وطنه وسائر الاوطان في المجتمع الذي يعيش فيه الان . يكون عنصراً مضرراً كالرجل الذي لا يفرق بين زوجته وسائر النساء .)

ولماذا نذهب بعيداً ، فنحن العرب عند ما كانت قوميتنا حاكمة قوية طاغية استطعنا ان نقدم للانسانية تراثاً خالداً من الدين والفلسفة والعلم ، اما عند ما انحطت هذه القومية وضعفنا بضعفها فلم نستطع ان نفيد الانسانية والحضارة في شيء ذي قيمة ، فكيف نطمح ونحن ضعفاء في قوميتنا ان نفيد الانسانية ؟ بل لا نستطيع ان نجد امة ضعيفة في قوميتها اعطت نتاجاً خالداً او قدمت للانسانية تراثاً باقياً ، لان ضعف القومية يقتل كل خاصة مبدعة في الشعوب ، ونحن نريد ان نكون مبدعين خلاقين عاملين في هذه الحياة . نريد ان نسيخ الارض والسماء في تشييد قوميتنا وامتنا .

ثم ان اكثر الداعين الى الانسانية وطرح القومية هم اناس من امة قوية تضع يدها على كثير من الاسلاب وتتحكم في كثير من الشعوب الضعيفة في قوميتها ، فاذا استيقظت القوميات في هذه الشعوب ومنها الامة العربية طرحت عنها نير اولئك الطغاة وقامت تحاسبهم حساباً عسيراً . فاولئك الذين يدعون للانسانية انما يدعون لها لا حباً بها ولكن حباً في الابقاء على ما في ايدي امتهم من اسلاب وخيرات الامم الاخرى الضعيفة وحباً في ادامة ذلها وضعفها

فيجب ان نعمل في سبيل قوميتنا وان نتعصب لها وان نكون اقوياء
صارمين جبارين وخصوصاً مع اولئك الذين ظلمونا قروناً متطاولة ولا
يزالون يعملون على ادامة واستمرار هذا الظلم . ويجب ان نغرس في نفوس
ابنائنا اتجاهها الى ان سيادة القومية العربية هي الاساس الذي يقوم عليه
كيان الامة العربية وحضارتها ثم الحضارة الانسانية برمتها .

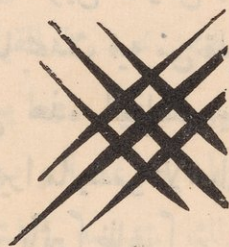
والامة العربية لم تأخذ حتى الآن الا بقسط ضئيل من العلوم العملية
وهي في نهضتها تحتاج حاجة قصوي الى العلوم والصناعات الحديثة تحتاج الى
الانكباب على البحث العلمي المتواصل والتقدم الصناعي والزراعي لاجل
ان تعرف كيف تستغل خيرات بلادها بنفسها وليكن تكون بلادها قائمة
على التنظيم الدقيق في جميع مرافق حياتها . فالتنظيم والعنسيق والحياة
النظامية مفقودة بين طبقات الامة العربية

واكثر ابناء الامة العربية ينشأون في الوقت الحاضر ضعاف الابدان
تنخر اجسامهم العقل والأمراض يعيشون حياة صحية ضعيفة . يتكاثف عليهم
الجهل والفقر فيوقعانهم في اشراك الامراض والابواب حتى اصبح للامراض
مواسم وللأوباء مواطن في بلادهم . فيجب ان نهذف الى انشاء افراد اقوياء
في اجسامهم اصحاء في ابدانهم لان سلامة الصحة وقوة الجسم ضرورية
للجيل الجديد ليكون قادراً على تحمل المشاق والتعبات قادراً على تحدي
العقبات والنهوض بالاعباء الجسام التي ستلقى على كاهله ، ولا يبالي بالآلام
في سبيل فكرته السامية

هذه صورة مجملة عن واقع الامة العربية وحاجاتها الضرورية التي يجب
ان تحققها عن طريق التربية حتى يكون لها كيان محترم مرموق بين الامم
وهذه الصورة يمكن ان نستخلص منها الغرض التربوي الذي يجب ان

تهدف اليه وتسعى الى تحقيقه الامة العربية وهو : يجب ان تكون البلاد العربية وطناً واحداً لجميع ابناء العرب يحيون فيه حياة اجتماعية خلقية كاملة مثلهم الاعلى التفاني في سبيل الذود عن هذا الوطن وتقديسه وتقديس انقومية العربية وانهموض بها وجعلها فوق القوميات الاخرى ، اقوياء في اجسامهم منظمين في تفكيرهم وحياتهم ماهرين في اعمالهم مبتكرين مبدعين مخلصين لامتهم يؤثرون مصلحتها على مصالحهم ويعملون لخير الوطن العربي خاصة وخير الانسانية عامة »

هذا هو الغرض والمبدأ الذي يجب ان يسود التربية والتعليم في جميع البلاد العربية والذي يجب ان يكون ماثلاً في ذهن كل معلم ومرب الىه يعمل وعلى طريقه يوجه .



العوامل المؤثرة في التربية

ان العوامل المؤثرة في التربية كثيرة لا بد لنا من دراسة اكثرها
فعالية لنرى مقدار صلاحيتها في البيئة العربية لتنشئة الفتى العربي الجديد
واهم هذه العوامل ١ - البيئة ٢ - الوراثه .
والبيئة هي جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الفرد من حين ولادته
الى حين وفاته ، وهي تلعب دوراً هاماً في التربية لما لها من تأثير عظيم
في الكائن الحي .

ويمكننا تقسيم البيئة الى قسمين : ١ - بيئة طبيعية ٢ - بيئة اجتماعية .
فالبيئة الطبيعية هي قطعة الارض التي يعيش عليها السكان الحي وما
تحتويه من عناصر ، مثل تكوين الارض ونوع تربتها والمناخ وما يتعلق
به من رطوبة وجفاف وما يحدث فيه من تقلبات ، ثم الماء والنبات والحيوان
الى غير ذلك . فكثير من هذه العناصر يؤثر في الانسان من الوجهة
النفسية والمزاجية . وكثيرا ما يشعر الانسان شعوراً واضحاً بتأثير بعض
العناصر الطبيعية في نفسه تأثيراً ظاهراً . وخصوصاً عند ما يحاول ان
يلاحظ او يتمتع بمشاهد الطبيعة ومظاهرها فانها تعمل في نفسه وينفعل
امامها فتأخذ الایحاءات سبيلها الى وجدانه ثم يتكيف شعوره وسلوكه
بحسب ما توحيه اليه هذه الایحاءات .

ولهذه الایحاءات تأثيرات هامة في تكوين الخلق والمزاج وفي مجرى الحياة بصورة عامة . وتشمل البيئة ايضا المنزل وما يتصل به من تنظيم وترتيب واضطراب ، كالحجرات وتنظيمها واثاث المنزل وترتيبه وموقع المنزل والبيئة الطبيعية المحيطة به وتوفر الهواء والضوء وحرارة الشمس .

اما البيئة الاجتماعية فهي الوسط الاجتماعي وما يسود هذا الوسط من مبادي وافكار سامية او منحطة وما يضطرب فيه من فوضي او يشتمل عليه من تنظيم ، اجتماعي وسياسي واقتصادي وما يصطلح عليه من عادات واخلاق ومعاملات حسنة او سيئة الخ ... وعلى العموم هي كل ما يشتمل عليه المجتمع من مثل عليا واهداف سامية تقدمية او افكار رجعية واهداف منحرفة ويدخل ضمن نطاقها الاندية والمقاهي والملاعب والمنزهات ودور الخيالة وقاعات المحاضرات وامكنة العمل . كما تشمل المنزل ومن فيه من والدين واخوة واخوات وبقية افراد الاسرة ومن يتصل بهم من اقرباء واصدقاء وخدم وغيرهم

وكذلك تدخل المدرسة ضمن نطاق البيئة الاجتماعية وهي ذات اثر هام في تربية الفرد وتوجيهه وفي توجيه المجتمع بصورة عامة . لان الجو المدرسي اذا كان صالحا منظما استطاع ان يؤثر على المجتمع الخارجي بالاصلاح والتنظيم فالمدرسة ومن فيها من معلمين يحسنون القيام بواجباتهم والمثل العليا والمبادي التي يعتنقونها وصفاتهم الخلقية ، وما يسود المدرسة من عناية في نواحي النشاط من جمريات رياضية وعلمية وادبية ، وما في المدرسة من نظام ونظافة وترتيب ، كل ذلك يتشربه الناشئ ويتشبع به ويحاكيه ويكون له اثره العظيم في نفسه .

واما الوراثة فهي جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي من اللحظة

التي تم فيها عملية تلقيح الخلية الانثوية بالخلية الذكرية . والوراثة تأثيرها الظاهر في الفرد من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية . فوراثة الصفات الجسمية من الاباء والاجداد امر ظاهر وكذلك وراثة الصفات العقلية والخلقية والمزاجية ، وان كان بعض العلماء قد اختلفوا في امر هذه الصفات المعنوية . الا ان من الثابت ان هذه الصفات تورث كما تورث الصفات الجسمية ، اذ كثيرا ما نشاهد شخصا سيئا الاخلاق شرسا فظا فيكون احد ابويه او احد اقربائه الادين او الابعاد يتصف بمثل هذه الصفات . وكثيرا ما نشاهد ايضا عائلة ما ينصف افرادها بانهم عصبيو المزاج او تغلب عليهم خفة العقل او خفة الروح او يتصفون بالذكاء الظاهر او بهدوء الطبع وبرودة الدم الى غير ذلك من الصفات . وهذا ما دعا احد علماء الوراثة (بيرسون) الى القول ان الناس يرثون عن ابائهم القدرة والحجل والمشاعر والحالات النفسية بالطريقة نفسها التي يرثون بها الشكل واللون وطول القامة وغير ذلك (١)

وكثيرا ما تتداخل عوامل الوراثة بعوامل البيئة فلا يستطيع الباحث المدقق تمييز بعضها عن بعض ، فمثلا ربما كانت صفة خلقية ما راجعة في اساسها الى صفة وراثية مزاجية او ربما كانت قد انتقلت الى الطفل من الكبار المحيطين به - اذ ان عن طريق المحاكاة غير المقصودة بانواعها المختلفة من تأثر بالايحاء والتقليد والمشاركة الوجدانية تنتقل الاراء وانواع السلوك والانفعالات من فرد الى فرد ومن الاباء بنوع خاص الى الاطفال . كذلك معاملة الاباء للابناء تختلف من طفل الى اخر اختلافاً كبيراً

(١) اساس الصحة النفسية - للدكتور عبد العزيز القوصي .

وتبعاً لاختلاف المعاملة تتأثر شخصيات الاطفال الاخوة بينما يكون المعتقد
انهم عاشوا جميعاً في بيئة واحدة والواقع انهم في بيئات مختلفة من حيث
المعاملة . (٢)

وبعد ما هو مدى صلاحية هذه المؤثرات والعوامل في البلاد العربية حتى
تصلح لتنشئة الفتى العربي الصالح او كي نطمئن اليها لتخرج لنا الجيل العربي
الذي نطمح في ايجاده .

اننا ان القينا نظرة على البيئات الاجتماعية في كل قطر من اقطار
العرب فاننا نجد بها بيئات متأخرة ضعيفة . موبوءة منحنطة . فالتنظيم
الاجتماعي سواء كان هذا التنظيم جمعيات خيرية او دينية او اصلاحية او
رياضية الخ . . . تنظيم ضعيف سيئ تسوده روح الانانية والسيطرة
والظهور لا الروح الحقيقية التي يجب ان تحوده وهي مصلحة الجماعة دائماً
فكثيراً ما رأينا بعض الاشخاص يحاولون القيام ببعض المشاريع الاجتماعية
ويتحمسون لها ولكن سرعان ما تجبو هذه الحماسة ويقبر ذلك المشروع
في مهده . وهذا حتماً راجع الى سوء التربية وسوء التنظيم .

ثم ان الناحية الخلقية تكاد تكون اضعف فالفاسد المنتشرة في المجتمع
العربي توشك ان تهدده بالانحلال العاجل فقد تسربت المفاصد الغربية اليه
واخذت تنخر فيه اذ اخذ يقلدها عن غير وعي او تبصر ، فتبلبلت المفاهيم
الخلقية واصبح ملوك الفرد غير مقيد بمفهوم خلقي خاص وانما حسب
ما تلميه عليه المصلحة الذاتية والشهوة العابرة .

وقد اصبح هناك بون شاسع بين اخلاق الكتب والاخلاق السائدة

في المجتمع العربي . فالكتب مثلا تقول بان الشرف قوام الفضائل واس
النجاح في الحياة ، ولكن اخلاق المجتمع تظهر بان الشرف مرض وآفة
يجب ان يبتعد عنه الانسان .

والاخلاق والقوانين تقول ان الكفاءة شرط جوهرى لتولي مناصب
الدولة ولكن الكفاءة في حقيقةها جناية تجر على صاحبها الحسد والبغضاء
والتحطيم .

والامعات والنكرات اذا لم يستطيعوا ان يظهرُوا او لم يستطيعوا تسلم
سلم الرقي بسرعة قذفت بهم المحسوبة الى الذرورة . اما اصحاب الكرامة
والاستقلال الفكري - وما اقلهم في مجتمعنا - فانهم اذا هموا بالصعود الى
قمة السلم تشبث الحاسدون بارجلهم وتعلق الدساسون باذيالهم وما يزالون
بهم حتى يهبطوا مهشمين محطمين على الارض

وهكذا يسعى افراد المجتمع المتأخر الى قتل الرجال الاحرار وتحطيم
الافذاذ وطرد العاملين الخالصين حتى يخلو الجو لبضعة انفار جاحدين
مستغلين لمصعدوا قمة السلم على كف العامة وهتافات الجبهة المرتزقة
اضف الى ذلك ما يضطرب به المجتمع العربي وما يسوده من تفكك اجتماعي
نتج عن اضطراب في التوجيه واختلاف التربية والتعليم والثقافة . اذ ان
التوجيه والتعليم والتربية في البلاد العربية مختلفة باختلاف الاقطار
وباختلاف المدارس المنتشرة في هذه الاقطار من مدارس وطنية اهلية الى
مدارس دينية اهلية ايضا الى مدارس حكومية الى اخرى اجنبية علمانية
و دينية تبشيرية متعددة الجنسيات بتعدد حكوماتها . وكل مدرسة من
هذه المدارس توجه الناشئة توجيهها خاصا ، وكل منها تنفذ مبادئها
وافكارها وتبث روحها الخاصة . وخيرجوا كل مدرسة من هذه المدارس

يتجهون في تفكيرهم اتجاها خاصا . فهؤلاء يفكرون تفكيراً لا تينياً
والآخرون يفكرون تفكيراً سكسونياً وغيرهم يفكرون تفكيراً دينياً .
وآخرون ينزعون نزعة قومية . او وطنية محدودة وهكذا . . . لذلك
كان التلاؤم والانسجام بين افراد المجتمعات العربية ضعيفاً واهياً .

واكثر ما ينطبق على المجتمعات العربية من القول ، انها مجتمعات
انعزالية متنافرة لا متجاذبة متضافرة . وان اكثرها يسوده الظلم من
وجود البون الشاسع بين طبقاتها المختلفة من الناحية المادية والعلمية . فهنا
فئة قليلة تملك مال قارون وهناك فئات كثيرة تعد بالـلايين يكادون
لا يملكون قوت يومهم ، فئة تعيش في القصور . وفئات يعيشون في
الاحجار والاكواخ ، فئة تعيش عيشة الاسباد وفئات يعيشون عيشة
العبيد ، فئة تستطيع ان تعلم ابناؤها بما تملك من ثروة ، وفئات لا يقدر
الا ان يكونوا اميين جاهلين كهذه البهائم السائمة لانهم لا يملكون الا
الفقر . فئة تشعر انها ولدت سيده سائدة وفئات يشعرون بانهم ولدوا
عبيداً ، فهل يمكن ان يكون بين هذه الفئات تلاؤم و انسجام او تفاهم ،
هل يمكن ان يكون بين هؤلاء ، تعاون الا كما يكون بين السيد وعبيده
وبين العالم والجاهل من تعاون .

هذا زبادة عن ان اكثر المجتمعات العربية - ان لم تكن جميعها -
تتحكم فيها الروح القبلية والانظمة العشائرية والعائلات الاقطاعية ، تتحكم
فيها فئة قديمة بافكارها قديمة بتصرفها ومثلها ومبادئها ، قديمة بعقليتها
وروحها قد التفت بالانانية وتسربت بحب الذات تمسك الزمام بالنواجز
وتعمل على قتل روح التقدم في شباب الجيل الحاضر المتوئب .
وليس هناك قول اكثر دلالة على ما اقول من حديث الاستاذ

عبد الحميد كرامة الزعيم الطرابلسي المعروف في جلسة خاصة بين اصدقائه والمقربين اليه » لقد انتهت مهمة جيلنا في العمل العام لان كفاءته نضبت وعجز تفكيره عن مجاراة التطور الحديث وحان الوقت لكي يضطلع الجيل الجديد باعباء المسؤولية ، وكل ما ارجوه هو ان يتجنب الشباب تلك الجرثومة التي نخرت عظام ساسة جيلي وسحمت حياتهم وحياة الشعب معهم واعني بها (الانانية) « (١)

والمجتمع العربي الان تغزوه افكار بعيدة عن روحه ومبادئه قاتلة لتوحيته وطموحه قاضية على استقلاله وحرية وقوميته ، وعلى اعتباره مجتمعا عربيا له كيانه الخاص واستقلاله وحرية وميزاته وخصائصه التي تختلف كل الاختلاف عن خصائص المجتمعات الاخرى وخصوصا تلك التي تحاول ان تجعل مبادئها تتسرب اليه حتى تستطيع ان تفرض سيطرتها عليه عن طريق هذه المبادئ .

والسبب الهام المباشر الذي يجعل الشباب يتقبلون تلك المبادئ الهدامة لقوميتهم ووطنيتهم هو ضعف التربية الوطنية والقومية وخلو هذه التربية من مثل علميا يمتنعها الشباب . ووجود تلك الفئة ذات الغني الفاحش والثراء والترف العظيم الى جانب الفقر المدقع الذي يعم الاكثرية الساحقة من الامة العربية ، ثم وجود تلك الفئة الرجعية المتحكمة الضاغطة على الشباب المسكروهة منهم الناشرة روح التضيق عليهم لذلك يتطلعون ويحاولون ان ينسجوا شيئا من الحرية على زعمهم ولو كان ذلك بالسير على جثث ابناء امهم ، او ليس في ذلك خلاص من واقعهم البغيض . ؟
وفي المنزل تتمثل الحياة الاجتماعية باجلى مظاهرها اذ اصبح افراد

الاسرة فيه في تفكك مريع فهو ان كان منزلا لابنائها حظ من الثقافة والمعرفة فانه ينقسم بحسب ما يعتقد هؤلاء الابناء من المبادئ والافكار كما ان هؤلاء الابناء يدعون التقدمية والتحرر وينظرون الى اباؤهم نظرتهم الى فئة تمثل الرجعية والتأخر ، ويعملون جاهدين على التخلص منها ومن عاداتها وافكارها وتقاليدها

وان كان بيتا يخيم عليه الجهل - وما اكثر البيوت الجاهلة في الامة العربية - ففيه تظهر فوضى الحياة وقسوتها واضطرابها بجميع مظاهرها وتمثل التربية بسمياتها ويظهر الجهل بابشع صورة فالاباء والامهات جاهلون ببسط مبادئ التربية جاهلون ببسط قواعد الصحة . تنفشي فيهم الامراض والابواب بكثرة مريضة حتى اصبح لها في بعض البلدان مواسم كالملاريا والكوليرا ... بل هناك امراض مستوطنة كمرض البلهارسيا والانكاستوما والسل وامراض العيون . وكذلك وفيات الاطفال تبلغ في اكثر البلاد العربية حدا مخيفا حتى ان بعضها قد فاق في ذلك الهند .

والامراض تأثير سيء في مجموع الامة ، فالجول والكسل وضعف العقل وانعدام التفكير المجدي وفقدان روح الابتكار والتجديد والطموح والسعي لرفع مستوى المعيشة يرجع ذلك كله الى تلك الامراض التي تقتل الحيوية وتشل النشاط وتنخر الاجسام . وكل ذلك يتمثل في ملايين الافراد في الامة العربية حتى اصبح الجهل والفقر والمرض عنوان اكثر الاسر العربية وكفى بهذه الادواء عدوا قاتلا .

وتنتشر في البلاد العربية امراض اخرى غير الامراض الجسمية ولكنها اشد فتكا منها لانها تقصل بالجسم وبالنفس في وقت واحد ، وهي

امراض المخدرات كالحشيش والافيون والكوكايين في مصر وغيرها والقات في اليمن وغير ذلك من المكيفات في الاقطار الاخرى فالذين يدمنون على هذه المخدرات يصبحون ضعاف الاجسام صفر الوجوه ضعيفي النفوس مستكئين الى الكسل والخمول ، ولا شك ان ابناء هؤلاء يأتون متصفين بنفس الصفات التي يتصف بها آباؤهم ، هذا اذا لم تصبهم امراض اخرى ناتجة عن سوء التغذية وسوء السكنى .

وما انتشار المخدرات الا من اسباب البؤس المنتشر . فهؤلاء المدمنون البائسون يتعاطون المخدرات رغبة منهم في الهروب من واقعهم المؤلم والفرار من مواجهة البؤس والشقاء الى دنيا فيها شيء من الخيال والسلاوي والنسيان يزيح عن صدرهم ثقل هذه الهموم وذلك البؤس والتعاسة والشقاء .

وليس منع هذه المخدرات والتضييق على مدمنيها بالدواء الناجع ولكن الدواء الصحيح هو رفع المستوى المادي والثقافي للطبقات الفقيرة ، لاننا نلاحظ ان هذه المخدرات ليست منتشرة بصورة واسعة الا بين هذه الطبقات .

اما العناية بتربية الطفل في الاسرة العربية فهي لا توجد مطلقا لان ليس لدى هذه الاسرة اية فكرة عنها ، فالوالد لا يزال يؤدب ابنه بالضرب الشديد المبرح كما يؤدب امه بنفس الطريقة وعلى مرأى من الولد . وكثيرا ما ينقلب البيت الى جحيم في نظر الطفل وخصوصا حينما يكثّر شجار الوالدين ، ويكون ضحية هذا الشجار الابناء البرءاء فيخرجون الى الحياة ونفوسهم طافحة بالالم والشقاء ناقمة على الوالدين والناس اجمع . وفي مثل هذه البيوت تتأصل جذور الشرور وتنبت الاثام وتنمو الجرائم .

ونلاحظ ان عقاب الاولاد بالضرب المؤلم يخلف اثرًا سيئًا في نفس الولد وكرها لابيهِ الضارب يضطر الى كبتِه لانه لا يستطيع اظهاره او الانتقام من ابيه وذلك لضعفه وحاجته الى رعايته ، ولكن هذا الكره يعمل في لاشعور الطفل حتى يأتي الوقت المناسب حيث يظهر اثره واضحا وذلك عندما يشتد ساعد الولد ويقوى . وبهذا وبموامل اخرى نستطيع ان نفسر عقوق كثير من الابناء وكرههم لابائهم وشكوى الاباء من عقوق وجفاء ابنائهم وما السبب في هذا الا الاباء انفسهم .

وتمثل ايضا جهل الاباء باصول التربية بما يزرعون في نفوس ابنائهم من الخوف الذي ينبت بذور الجبن والتردد والضعف في نفوسها . فكثيرا ما يستعمل الاباء التخويف ليكفوا الطفل عن عمل معين او ليدفوه الى القيام بعمل معين وكثيرا ما يحدث ان الطفل يريد ان يلعب واهله يريدونه ان يتحدثوا ويتسامروا في جو هادي فيخيفون الطفل بشيء ما حتى يهدأ عن لعبه ثم يأمرونه بالنوم . ومن غير المستبعد ان يحلم الطفل عند ذاك بهذا الشيء الذي اخيف به فتتكون لديه عقدة خوف او صفة خوف قد تدوم لديه طول عمره .

كما ان الجو الخيف الذي يحيطون به الطفل من جراء القصص التي يقصونها عليه بما فيها من جن وعفاريت تؤثر على شخصيته تأثيرا سيئًا حتى نراه لا يستطيع الخروج ايملا خارج الغرفة التي فيها اهله ، واذا اضطر الى الخروج طلب ان يصحبه غيره .

ومما يساعد على اثاره الخوف عند الاطفال تشاجر الكبار كالاب والام والاخوة والاقارب في حضوره . او كثرة صخب الاب وغضبه ولهذه المظاهر اكبر الاثر في زعزعة ثقة الطفل بوالديه . واكثر

الاضطرابات العصبية التي تحدث في الكبر للشخص تنشأ من تزعزع ثقة الولد في العلاقات الوالدية .

ثم ان للفراق الذي يحدث بين الاب والام اثرا عظيما في حياة الابناء اذ تكون به الطامة الكبرى على الاطفال وحياتهم الوالدية ، وقديضطرون الى الانجاء اما الى كنف الام او الى كنف الاب واحيانا يهملهم الاب نكاية في الام واحيانا كثيرة يذوقون مر العذاب والام من الاب وخصوصا عن طريق زوجته الجديدة بعد فراق امهم او موتها . واحيانا كثيرة تهملهم الام اذا كانوا في كنفها لانها تريد ان تتزوج . وقد يقوم صراع داخلي في نفسها بينها وبينهم لانها تعتقد انهم حجر عثرة في سبيل زواجها وتحقيق رغباتها فتسعى للتخلص منهم ، وقد تتركهم لاقاربهم الذين لا يهتمون بهم ولا يلتفتون الى رعايتهم وعند ذاك تصبح الشوارع ومن فيها من ابناء السوء الذين يلقفونهم ليستغلوهم ابشع استغلال محط رحالهم ، فيسقطون سقوطاً لا اصلاح لهم منه بعد ذلك فيكونون جرثومة فتاكة في المجتمع .

وهناك عوامل اخرى غير هذه تفسد عمل التربية في الاسرة وهي ان سوء الحالة الاقتصادية لدى الطبقات الفقيرة يؤدي الى نتائج جد وخيمة تجمل عمل التربية مستجيلا . مثل قلة الغذاء وما ينشأ عنه من ضعف البنية واضطراب الحالة النفسية ، واكثر الامة العربية الان تعاني نقصا فاحشا او سوءاً في التغذية بل اكثرها تنقصها ضرورات الحياة . ومن نتائج سوء الحالة الاقتصادية ايضا اضطراب الاباء الى استخدام الاولاد الصغار في كثير من الاعمال سواء في البيت او خارجه مما يمنعه عن الانصراف الى الواجبات المدرسية ، والقيام بها كما ينبغي ان كانوا تلاميذ ، ويمنعهم من

التمتع بحياتهم الطفلية من لهو ولعب ثم احيانا كثيرة لا يجدون الوسائل
والجو الذي يتيح لهم الانكباب على الدراسة والاستذكار
وهناك آباء كثيرون عاجزون عن العناية بابنائهم والتكفل بهم والقيام
بواجباتهم فيعملون على بيعهم او تأجيرهم الى آماء بميدة بغية التخلص من
نفقاتهم وطعما في ربح بشع ولكن الضرورات كما يقولون تبيح المحظورات
ثم ان عدد الاولاد في الاسرة وعلاقة الابوين احدهما بالآخر وصلة
كل منهما بالاولاد وتوزيع الحب والمطف بينهم كل ذلك له اثره في نفس
الطفل ، فكلنا نعلم كره الابن البكر الذي يليه وما ذلك الا لان الطفل
الثاني ينزع من الاول حنان والديه وحبهما ويشغلها عنه فتنشأ في نفس
كراهية وبغض لاخيه الاصغر . ثم ان الاخ الاصغر يخرج احيانا جبانا
ذليلا ممالئا لكثرة ما يناله من الضرب والتعذيب من اخيه الاكبر فيضطر
الصغير الى ممالاة والديه حتى ينتصرا له او انه يمالي اخاه الاكبر ويسمى
لتحقيق رغباته حتى يسلم من اذاه . وقد اظهر التحليل النفسي ان هذه
العلاقات العائلية المتنوعة مركبة جدا وعميقة الاثر في نفس الاطفال

يتضح لنا من كل ما تقدم ان لعصر الطفولة اهمية عظيمة في تكوين
رجال المستقبل ونسائه وان للأسرة الاثر العظيم في هذا التكوين ، فليست
شخصية الفرد الا نتيجة لتكوينه في مرحلة الطفولة ، وانه بمقدار ما يوجه
الى الطفل من عناية ورعاية وتوجيه صالح في هذه المرحلة يكون توافق
شخصيته في مرحلة الرجولة ، وبمقدار ما يحيا حياة معذبة مضطربة منغصة
يكون شذوذه وهو كبير .

اما المدرسة فاني لا امطيع الا ان اجردها من كل معنى تربوي
فهي منقورة الى اساليب جديدة في التربية والتعليم مفتقرة الى عقليات

جديدة ، وقد توجد احيانا هذه العقلیات ، وقد يهمل بعضهم بتطبيق شيء من هذه الاساليب الا انه يلاقي من الصعوبات والمشاق الشيء الكثير ويرجع اخيراً بخفي حنين لانه لا يجد التشجيع او التعاون من بقية زملائه الذين يحاولون تثبيط عزيمته بشق الطرق والانتقاص من عمله بمختلف الاساليب

وهناك سبب هام في تأخر مدرستنا في التربية وهو ان تربيتنا نحن المدرسين منذ الصغر خاطئة ايضاً يتحكم فيها كثير من العوامل التربوية السيئة التي غرست فينا من الصغر فاصبحت تصدر عنا وكأنها طبع وصفة ثابتة فينا

فلاجل ان تكون عملية التربية ناجحة سليمة لا بد من انشاء جيل من المربين لم يتحكم في تربيتهم وطبائعهم عوامل سيئة سليمين في شخصيتهم من عوامل النقص ، قريين من الكمال في النواحي الخلقية والعقلية والمزاجية .

والغرب في طريقة اختيار المدرسين في الوقت الحاضر ان الطالب الذي يود ان يكون معلماً يعرض على الكشف الطبي ويختبر من الناحية العلمية والهيئة العامة ولكنه لا يختبر من الناحية الخلقية والمزاجية . وهاتان الناحيتان اكثر ضرورة لعملية التربية والتعليم من غيرهما .

والتعليم في المدرسة العربية بعيد عن حياة المتعلم وميوله ودوافعه مما اضف مركز المدرسة في نفوس التلاميذ فجعلها وكأنها سوق عامة بأنها الشخص فيأخذ حاجته منها ثم يولى الادبار دون ان تترك في نفسه اثرأ يذكر وانما تركت في يده تلك السلعة التي ابتاعها وهي الشهادة بدوامه المتكرر او المقطع على المدرسة ، واظنني اخطأت المثل لان المبتاع يذهب

الى السوق لشراء سلعة له بدافع داخلي وهو الحاجة او الضرورة ، اما
التلميذ فانه لا يشعر بدافع داخلي الى طالب العلم لان مواد العلم لا تعطى
بطرق جذابة تحرك شوقه ونشاطه للعمل وتثير حبه للاستطلاع ، ولا تسير
ميوله ورغباته واستعداداته العقلية ، فتراه في اكثر الاوقات عازفا عن
الدرس كارها للمدرسة واذا عمل يعمل وهو ملول ، بل لا يعمل الا اذا
دفع للعمل دفعا ، وما ذلك الا لان هذا العلم لا يشبع ميوله ولا يتصل
بتجاربه ومشكلات حياته ولا يمكنه من الاتصال بالحياة الخارجية ولا يعمده
لها ولا يعنى بتربية شخصيته ، فيشعر ان المدرسة ليست الا مكانا لكبت
تلك الميول وقتل هذه الشخصية . وان قانون المدرسة هو وسيلة للضغط
والقهر والحرمان فيثور على المدرسة وعلى المجتمع الذي تمثله في نظره .
وتولد في نفسه الانانية والفردية الممقوتة التي لا تعرف قانونا لها الا
مصلحتها الذاتية .

ومن هنا نبتت الروح السلبية بين الطلاب وترعرعت حتى اصبحت
اشد ما تكون خطراً وتأثيراً . واقد تمثلت هذه الروح بصورة قوية
بلاضطرابات الكثيرة العنيفة التي يلجأ اليها التلاميذ بين حين وآخر حتى
كادت المدرسة تفقد مكانتها واحترامها في نفوسهم ، او فقدتها بالفعل .
وحتى انهم اصبحو يضربون لا لسبب ذي اهمية بل مجرد ورود فكرة
الاضراب على اذهانهم . وهذا له خطر الخلقى والثقافى والاجتماعى

ويظهر اثر هذا الخطر بصورة مباشرة في كل عام بالنتائج السيئة التي
تعطيها امتحانات الشهادات . ولقد كانت اكثر ظهوراً في هذا العام من
الاعوام السابقة حيث كانت نتيجة الشهاداتين الكفاءة والثانوية سيئة جدا
في سوريا . وكثيرا ما حصل مثل هذا ويحصل في مصر والعراق .

وقد قام بعض الكتاب في سوريا يلومون القائمين على امور التعليم وينقدون اربابه ويدعون الى الاصلاح والى قلب المناهج التدريسية . وكلها دعوات لا تقوم على اساس متين من الدراسة والتمحيص ولكنها دعوات املتها العاطفة والظروف الوقتية

فالاصلاح لا يكون اصلاحاً حقيقياً ما لم يأخذ صفة الشمول والتعميم وهو اصلاح النفوس قبل كل شيء اخر ، اصلاح هذه النفوس التي انحطت وتدهورت واصبحت لا تقيم وزناً لقيمة ولا تحترم قانوناً ولا تستمع الى نصيحة ولا تصغي الى توجيه ، اصلاح نفوس هؤلاء التلاميذ الذين اصبحوا يشعرون ان المعلم ما هو الا عدو لهم وانه يفف دون اغراضهم ومآربهم ، وينظرون اليه في كثير من الاحيان كأداة يستحسن السخرية منها والاستهزاء بها والمدرس يشعر في كثير من الاحيان انه امام تيار يريد ان يطغى عليه ، وانه امام اناس يتربصون به الاخطاء والهفوات والغفلة حتى يجملوها مجالا لسخريتهم وميداناً لعبثهم فهل يمكن لمثل هؤلاء ان يستفيدوا الافادة الكافية من شخص يشعرون حياله هذا الشعور وينظرون اليه تلك النظرة .

فالاصلاح يجب ان يبدأ من نفوس هؤلاء ونفوس ابائهم وينتهي بنفوس المعلمين والمشرفين ثم المناهج الدراسية .

نرى من كل ما تقدم ان المجتمع العربي الحاضر والاسرة والمدرسة العربية جميعها غير صالحة لان ينشأ فيها الفتى العربي في المستقبل . لان هذا المجتمع فاسد ولان الاسرة ليس لديها شيء من المؤهلات التي تجعلها صالحة لتربيته ولان المدرسة اخفقت في الناحية التربوية وتكاد تخفق في الناحية التعليمية وان الامة العربية الآن في امس الحاجة الى خطة تربوية

تعليمية تنقذها مما هي فيه من اضطراب وفوضى وانقسام وتأخذ بيدها الى قمة المجد والسؤدد .

اذن . ما هي الخطة المثلى لتنشئة الفتى العربي رجل المستقبل الزاهر الممجّد . ؟

ان السبيل الوحيد للتربية المثلى البعيدة عن تأثيرات البيئات الفاسدة البعيدة عن تأثيرات الاسرة الجاهلة والمدرسة السيئة ذات الطريقة الخاطئة هو البحث عن بيئة جديدة سليمة من ادران المفاسد الاجتماعية الموجودة حالياً في البيئات العربية المختلفة والسيطرة على هذه البيئة التي يعمل فيها الاطفال ويشعرون ويفكرون بحيث تسود جوها المثل العليا التي نرتضيها لانفسنا في الاخلاق والعادات والعلم والمعرفة ، اي ان تكون هذه البيئات بعيدة عن نزعات الماضي والحاضر من العادات المستكثرة والافكار السخيفة التي لا تتلاءم مع المستقبل الذي نرجوه لانفسنا والحضارة التي نسعى لتحقيقها وحمل لوأها . ونستطيع ان ننقل الى تلك البيئة الحسن من العادات والافكار والاخلاق وان نقويها ونغذيها حتى تصبح طابعا للطفل تفيض عن نفسه دون تكلف ، هي وسائر ما نتمتسه ونرتضيه له من عادات واخلاق جديدة

فنحن نريد تربية ذات معايير واساليب ترمي الى ايجاد عادات واخلاق ارقى من عاداتنا واخلاقنا اما بهذيب الحسن منها او بخلق عادات واخلاق جديدة لحياتنا المستقبلية التي نريد ان نحياها بين امم بلغت من الحضارة والرقى شوطاً عظيماً ١

نريد تربية ترمي الى توحيد الامة العربية وصبها في قالب واحد لتخرج متوحدّة في العادات والاخلاق والافكار والعواطف والشعور تسير الى

الامام كتلة واحدة لا اجزاء متفرقة .

ونحن حين نحاول صب الجيل الصاعد في ذلك القالب انما نفعل ذلك في سبيل خير الامة العربية التي اضعفها الانقسام وقضى عليها النشئت والتفرقة ونخر عظامها السيء من العادات والتقاليد وغزا افكارها وعقولها الضال المضل من المعتقدات والمذاهب فاصبحت امما في امة وشيعا في جماعة نحن نسعي الى وحدة هذه الامة الجزأة والى قتل العصبية القبلية والنعرات القومية والتفسيحات الطائفية والانقسامات العائلية . نحن نسعي الى الوحدة في العادات والتقاليد والمذاهب والاخلاق حتى تصبح هذه الامة دولة واحدة بل اسرة واحدة متحدة متحابه لا مجموعة مختلفة من الشعوب متعددة بالقوميات ومتشعبة الاراء والمذاهب .

والسبيل الى ذلك هو ان تتولى الدولة العربية القائمة على اساس قومي تربية الاطفال قبل ان يستطيعوا فهم اللغة ، وحين يكونون عاجزين عن تقدير اي ضرب من ضروب التثقيف . فتنقل هؤلاء الاطفال الى البيئة السليمة بعيدين عن ابائهم ، حيث تعني بتربيتهم حسب الخطة القومية وذلك لان الاعوام الاولى من مرحلة الطفولة كما قلت سابقا شديدة الحساسية شديدة التأثير في حياة الفرد وعلى اساسها يمكن ان ينشأ الطفل نشأة حسنة او سيئة .

وفي هذه البيئة الجديدة يتمازج النشء العربي على اختلاف عناصره فيخلق لهم هذا التمازج جوا سامياً من الود والصفاء والتفاهم ويخلق لهم وسطا اجتماعيا وحياة اجتماعية مستقبلية اوسع من حياتهم الاولى ويحقق لهم نجاحا اوفر من النجاح الذي كانوا يطمحون اليه فيما لو تركوا يعيشون في مثل بيئاتهم المحدودة الحاضرة وينشأون نشأتهم الحاضرة . اذ ان بيئاتنا

الحالية ضيقة وتحمل في ثناياها مؤثرات شتى منبعثة من البيئات الاجتماعية المتعددة الموجودة في البيئة العربية الكبرى يماثر بها الطفل ويخضع لها ، فللاسرة قانونها الذي ترعاه وللشارع شرعته النافذة وللأطراف الدينية قوانينها وتقاليدها وللعنصرية والقوميات المختلفة أفكارها وعاداتها ، هذا التعدد والاختلاف في العناصر والمؤثرات يجعل نفس الفرد تتجاذبها عوامل وقوى متعارضة بحيث يصبح سلوكه وحكمه على الأشياء صادراً عن عواطف ومعايير مختلفة باختلاف العناصر أو الطوائف وباختلاف المناسبات والأغراض وفي هذا ما فيه من خطر على وحدة الجماعة . وهذا الخطر يحتم علينا ان نسعى عن طريق التربية الى توحيد نفسية الفرد وإقامة التوازن فيها ، ومن ثم نتحتم وحدة الجماعة التي نسعى اليها . وحدة هذه الأمة التي نريدها ان تكون متحدة اتحاد اجزاء الآلة في العمل والانتاج لا نجد فيها جزءاً واحداً من اجزائها معطلا او خاملاً او صائداً او مكسوراً او موضوعاً في غير موضعه ، بحيث يساهم فيها كل ترس وكل عجلة وكل جزء مهما صغر بقسطه الكامل من العمل وينهض بمحله المخصص له في ادارة الآلة كلها ادارة سريعة منسقة محكمة منتظمة .

نريد ان تسري بين طبقات الأمة روح الوطنية والقومية الصحيحة روح الجماعة التي هي العمود الفقري في جسم الأمة . فحين تكون هذه الروح القومية قوية ظاهرة تنفخ القوة في صدور ابناء الوطن وتكون الحياة القومية سليمة شديدة البأس ولكن حين تكون تلك الروح ضعيفة ملوثة ينتاب الحياة القومية الوهن والخور ، بل قد تورد الأمة موارد الهلاك ان هذه الروح جميلة الخطر في جميع العصور وهي بالغة الاهمية بنوع خاص في عصرنا هذا وحيوية كحيوية هذا الهواء والغذاء بالنسبة للأمة

العربية ، لان هناك اخطاراً جساماً وعدواً لدوداً يترصد بالامة العربية ويتحين منها غفلة او ضعفاً ، ولا يمكن درء تلك الاخطار وذلك العدو الا بالناسك والاتحاد والقوة . كما اننا لانستطيع ان نعمار بلادنا وان نقويها ما لم تنتشر بيننا روح القومية وروح الجماعة التي تربطنا بعضها الى بعض وتمكننا من العمل يداً واحدة ، حتى نستطيع ان نسير الى غايتنا كأمة عظيمة خالدة في هذه الحياة .

فلا بد اذن من ايجاد بيئة سليمة من ادران البيئة الحاضرة بعيدة عنها منسقة منظمة . تتعهد قابليات الناشئين وميولهم تعهداً خاصاً بحيث تكون اكثر اتساعاً واتزاناً واتساقاً ورقياً وعلمياً من البيئة الحاضرة وحيث تتجلى وظائفها بالمظاهر الاتية :

- ١ - تبسيط وتنظيم عناصر الميول التي يراد تهذيبها وانماؤها في الافراد
 - ٢ - تطهير العادات الاجتماعية مما يشوبها من ادران ، وخلق عادات وتقاليد جديدة والسعي بهذه العادات والتقاليد الى مراقبي المثل العليا
 - ٣ - خلق مثل اعلى في الناشئين يكون مركز الدائرة في التربية بحيث يشعل عواطف الناشئين ويلهب افئدتهم ويوقد لظى الحماسة في نفوسهم ، اليه يعملون ولاجله يحيمون وفي سبيل تحقيقه يموتون الا وهو سمر الامة العربية ورفعة مكانتها والسير بها قدماً الى ارقى الدرجات .
 - ٤ - ايجاد جو خلقي فاضل متماسك يتصف بالحرية مع مراعاة صالح جميع الافراد كما يتصف بالمساواة والعدالة الاجتماعيتين والانتاج والتقدم والترقي ، يستطيع الفرد ان يتفاعل فيه مع غيره تفاعلاً يترتب عليه فهمه لنفسه وفهمه لغيره وحبه له وتقديره اياه .
- فهذه الطريقة وهذه الخطة وحدها يمكن جمع تلك القوى المشتتة

والمنقسمة الى هيئات مختلفة في قوة واحدة وهيئة واحدة ونطاق سياسي واحد . وبهذه الطريقة يمكن السير الى الوحدة الكاملة بين جميع افراد الامة العربية بحيث يكون كل فرد جزءا قويا عاملا في المجتمع الذي يعيش فيه يساهم في اعبائه ويضع مصلحة المجتمع فوق مصلحته الخاصة ، ويضحى برغباته ووقته وراحته وماله وروحه في سبيله اذا لزم الامر ، وبهذه الطريقة وحدها لا غيرها يمكن انهاض الامة العربية الى اسمى الذرى واعلى الدرجات .



البيئة الجديدة

إذا كانت البيئة أو الوسط الطبيعي والاجتماعي غير صالحين لتربية النفس العربي الجديد الذي زبده خالياً من العيوب والعاهات الخلقية والعقلية والخلقية ، سليماً من النواقص الاجتماعية والقومية متحفزاً ناهضاً ، كان حتماً علينا أن نبحث عن وسط اجتماعي آخر بعيد عن مؤثرات الوسط الفاسد ، كما كان حتماً علينا أن ننوع الوسط الطبيعي لأن للبيئة الطبيعية أيضاً أثرها الفعال كما مر سابقاً ولا بد أن تكون هذه البيئة الطبيعية الجديدة بعيدة عن البيئة الاجتماعية الفاسدة ، أي لا بد من إيجاد بيئة طبيعية صالحة وإنشاء جو وسط تربوي جديد فيها ، وأن تكون هذه البيئة الطبيعية مختلفة بمض الاختلاف عن البيئة الطبيعية الحاضرة حتى يكتسب الطفل خصائص البيئة الجديدة بالإضافة إلى خصائص البيئة الطبيعية الحالية . فإين نستطيع أن نجد هذه البيئة ؟

إذا أرسلنا البصر يجول في أنحاء البلاد العربية مفتشاً باحثاً في كل قطر من أقطارها نجد أن هناك بيئة طبيعية مشتركة بين جميع الأقطار العربية ومتمثلة بكل قطر من أقطارها قوية التأثير عظيمة الفعالية ولكنها مهملة من قبل الأمة العربية .

في هذه البيئة نبت أجدادنا ومنها اندفموا إلى العالم فاتحين تقودهم

خصائص بيئتهم وتدفعهم دوافعها وتتحكم في نفوسهم مؤثراتها . وهم متخلقون باخلاقها وما اخلاقها الا ما اثر عن العربي من شهامة ونبل وعفة وصبر وتناصر وتآزر في الملمات وتواد وتراحم واغاثة الملهوف واعانة المحتاج وحذب على الضعيف وشجاعة وجود وصبر في الملمات والشدائد الى غير ذلك من الخصال الحميدة التي كان يتصف العربي قديما والتي يحتاج اليها العالم العربي الآن بل يحتاج اليها العالم بأسره .

هذه البيئة التي اريدها هي الصحراء ، والصحراء وان كانت رمالا تمتد كامتداد البصر ضعيفة التربة قليلة عناصر الانبات صعبة الحياة الا انها شديدة الدفع كثيرة عناصر التحفز خصيمة تربة الاقدام والتوثب صلبة في انبات الرجال . تصهر النفوس فتصبها في بوتقة الكفاج والجلاد وتطهر القلوب فتجعلها تقدر نفسها وتقدر خالقها وتعرف قيمة الحياة ومعناها ، تعرف قيمة الحياة الحرة فلا تخضع ولا تذلل ولا تماليء ، شديدة البأس قوية على تحمل المشاق والصعاب والشدائد . هي قبيل الغروب الهام يقع في النفس ووحى ينصب في القلب وفي الليل تسميحات لمبدع هذا الكون واجلال لجلاله واعظام له ولوجوده ، وفي الصباح قطرات ندى على جبين الفجر .

والصحراء تكسب ساكنيها مميزات روحية ونفسية وخلقية وجسمية لا يعرفها الا كل من ارتادها او عاش فيها . ومن منة الله على العرب ان جعل جميع الاقطار التي يسكنونها تتصل بالصحراء اتصالا مباشراً فلو نظرنا الى جميع البلاد العربية لوجدنا ان كل قطر من اقطارها يتصل بصحراء شاسعة ، وكأن الله اراد بهذا ان يذكر العرب دائماً بهذه الصحراء وانها هي موطنهم ومبعثهم الاول واليها يرجع الفضل في اندفاعهم ذلك الاندفاع الذي ادهش التاريخ . وكأن الله اراد من العرب في شتى

اقطارهم الا يقطعوا صلتهم بصحرائهم وان يعرفوا لها حقها وفضلها فهي المنبع الذي يجب ان يستمدوا منه الروح والقوة والحيوية اذا ما خبت الروح وضعفت الحيوية وخارت القوى ، ارادها ان تكون مبعث الكفاح والنضال كلما احتاج العرب الى كفاح او نضال ، فربط كل قطر استوطنته العرب واصبحوا اهلا اصليين فيه بصحراء ممتدة طويلة ، بل ان العرب لم يستطيعوا ان يثبتوا اقدامهم تشبيهاً ابدياً في بلاد لا ترتبط بصحراء او لا تتصل اتصالاً مباشراً بصحراء ولم يستطيعوا ان يصبغوا البلاد التي فتحوها بصبغهم القومية الا البلاد التي تتصل اتصالاً اساسياً بصحراء ، فجميع البلاد العربية الان من بحر الظلمات الى البحر العربي تتصل وترتبط بصحرائها عذتها وحماها ، فكما كانت ملاذاً لابنائها عند ما ينعدم الملاذ ، عند ما يطاردونهم ظلم المستعمر وجوره وبطشه . وكما اجتمع فيها ابطال العرب يستمدون منها الروح ويتذسحون منها القوة ويقبسون منها شعلة الجهاد والحق والحرية في سبيل النضال والكفاح ضد الظالمين الغاشمين .

فبيئة هكذا شأنها وقيمتها واثرها يجب الاتمهل من قبل الاممة العربية ، يجب ان تضاف خصائصها الى خصائص البيئات الاخرى اذ ان كل قطر عربي يتكون من صحراء تمتد امتداد البصر او يزيد ، قليلة الانبات ضعيفة الخصب قليلة الخيرات قاسية صلبة شديدة ، ومن ارض خصبة سهولها الواسعة وجبالها الشاخنة ووديانها المرعة وجوها اللطيف المعتدل ، والكل هاتين البيئتين خصائص طبيعية لها تأثيرها في جسم الانسان ومزاجه وخلقه وتكوينه النفسي كما بينت سابقاً ، فاذا نحن اقتصرنا في تربية اطفالنا على ان نجعلهم يتأثرون بخصائص البيئة الثانية بما فيها من ليونة ورقة حرمانهم من خصائص ومميزات البيئة الاولى وهي

خصائص الصحراء بما فيها من صلابة وقوة وشجاعة وجرأة واقدام
وتناصر وتآزر وصراحة وصحة جسم وسلامة بدن . ونحن العرب الآن
احوج في حياتنا الحاضرة الى صفات البيئة الصحراوية اكثر منا الى
صفات البيئة الريفية السهلة . لذلك نكون اقرب الى الكمال واسرع الى
تسم ذرى المجد فيما اذا اخذنا مميزات وخصائص كلتا البيئتين ونشأ رجال
الجميل الجديد متحلين بصفاتها .

وهذه الصفات التي عدتها ونسبتها الى الصحراء لا اقول انها لا يمكن
ان توجد الا في الصحراء او لا يمكن للناس ان يتحلى بها الا اذا نشأ
في الصحراء . كلا ! ولكن الصحراء عامل مساعد قوي على تنمية هذه
الصفات وتقويتها في النفس

كما ان هذه الفكرة ليست نكوصاً الى الوراء او تراجعاً الى الصحراء
ليست نكوصاً عن الحضارة الى البداوة . بل هي عين الحضارة والنقد
لان اساسها عزل فئة صحيحة سليمة عن فئة معولة مريضة يخشى ان يمتد
داؤها الى تلك الفئة السليمة . وهذا المبدأ مسلم به من الناحية الاكلينيكية
(الطبية الظاهرة) فكيف به من الناحية الخلقية والروحية .

ونحن عند ما ندعو الى الصحراء لتكوين بيئة تربوية لا نرمي بذلك
الى ما رمى اليه روسو من ترك الاطفال للبيئة الطبيعية تنشئهم وتربهم .
كلا بل نريد ان نحيط تربيتهم باطار من الظروف الاجتماعية . التي تخلق من
الطفل فردا اجتماعيا يعيش في مجتمع راق لا فرداً هرجياً او بدوياً يتيم في
مجاهل الصحراء وغياهب القفار ليعود القهقري بالحضارة قروناً طويلة .
بل لاجل ان يشب على خصائص الصحراء ويقبس العادات والتقاليد
والاخلاق التي ارتضيها له ويتحلى بالروح العربية الوثابة ، ثم يعود بعد

الثانية عشرة من عمره وكأنه ملاك هبط عالم الارض .

يعود ليستمر تحت رعاية المربين والمشرفين في بيئة جديدة تختلف عن تلك في ليونتها وعذوبتها ولطف جوها هي بيئة الريف او القرى . ثم بعد ان يبلغ الثامنة عشرة ينتقل الى الجامعة التي تتمركز قريبا من المدن وعند ما يبلغ الثانية والعشرين وما بعدها يكون قد اصبح رجلا يحق للامة العربية ان تفخر بعثته وان تفتخر بنفسها لانها اصبحت تضم افرادا بلغوا من الكمال حدا عظيما .

الفصل السادس

١ - الفكرة

٢ - مراحل الخطة التربوية التعليمية

الفكرة : نحن العرب الآن نعيش في مجتمع مليء بالمتناقضات مليء بالمفاسد والشهوات الذاتية التي تتحكم في تصرف وسلوك كل فرد من افراده ، وقل ما ينطبق عليه من الاوصاف انه مجتمع منحط موبوء متفسخ . والرجل المتغلغل في اوساطنا الاجتماعية يستطيع ان يحكم على مقدار ما في مجتمعنا من تدهور وسقوط ومقدار ما فيه من فساد وتدن للقيم والمفاهيم الخلقية والاجتماعية ومقدار شمول الفوضى جميع نواحيه . فلا سبيل الى اصلاح هذا المجتمع وانشاء جيل سليم من مفاسده واوصابه ، بل لا سبيل الى انشاء جيل صالح للحياة ، حياة امة راقية تعتر بنفسها وبمكائنها الا بابعاد الابناء عن آباءهم ، ابعاد النقاوة عن العفونة ابعاد الاصحاء عن المرضى بمرض سريع العدوى .

الفساد متأصل في الالباء ومنه ينتقل الى الابناء ، الفساد متأصل في الجذور والارومة ومنها ينتقل الى الفروع والعروق والاعصان والاوراق وقد قال النبي العربي الكريم « كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » فالطفل يحمل فضائل الحياة بشكلها البكر ونحن نتمل فيه هذه الفضائل لنزرع فيه نواقصنا وعيوبنا ومفاسدنا .

ولقد سئل الفيلسوف الالماني (فيخته) مرة . كيف السبيل الى انقاذ البلاد مما تعانیه من فساد ، فاجاب « السبيل الوحيد هو ان يعزل الاطفال عن آبائهم او ان نقذف بابائهم الى البحر »

فنحن قد اخترنا الطريقة الاولى لاننا لا نريد اولا نستطيع ان نقذف بانفسنا الى البحر فالحياة عزيزة علينا ، بل نريد ان نوجد لابنائنا بيئة يربون فيها بعيدين عنا حتى ينشأوا على فطرتهم السليمة وعلى عادات وتقاليد جديدة حسنة سامية واخلاق صالحة عالية غير عاداتنا وتقاليدنا المتهترئة البالية وغير اخلاقنا الفاسدة ، وليس ثمة من فكرة احكم ولا خطة اجدى لنا نحن العرب في هذا العصر من هذه الفكرة .

وتتمثل هذه الفكرة بان تأخذ الدولة العربية القومية القائمة في كل قطر من اقطار العرب او الدولة المسيطرة على اكثر اقطارهم او جميعها ، الاطفال من حين ولادتهم فتربيهم وتعلمهم تحت اشرافها بعيدين عن آبائهم واهليهم في البيئة التي وصفها سابقاً ، تكون قد اعدتها الدولة خصيصاً لذلك وزودتها بجميع الوسائل والادوات التي تحتاجها الحياة هناك وبوسائل وادوات التعليم واللعب المخصصة للتعليم والتربية . ويستحسن ان تكون هذه البيئة غير ممغنة في اعماق البادية بل تقع على سيف الصحراء حتى يكون الاتصال بها سهلاً وسريعاً ، ويشرف على هذه البيئة معلمون مربون صالحون ومعلمات مربيات وحاضنات تكون الدولة قد اعدتهم بكل عناية ودقة بالطريقة التي سنبينها .

وتتمد مدة تعليم الناشئ وتربيته من حين الولادة حتى يبلغ الثانية والعشرين من عمره . وتشمل جميع ابناء الامة وبناتها على السواء . ويمكن تقسيم هذه المدة الى ثلاث مراحل كبرى . وهي .

١ - المرحلة الاولى الابتدائية ويكون مركزها الصحراء وتمتد من حين الولادة حتى الثانية عشرة من العمر وتقسم الى ثلاث مراحل ايضا ولكل مرحلة ميزة خاصة .

فالمرحلة الاولى من المرحلة الابتدائية هي مرحلة الرضاعة وتمتد من ولادة الطفل حتى الرابعة من العمر يكون همنا في العناية الصحية التامة بالاطفال وتلقينهم اللغة العربية الفصحى حتى نقضي على اللغة العامية ونقضي على ما يعترض التعليم من صعوبات من جراء وجود لغتين عامية وفصحى ، اذ يكون المربون يجيدون التكلم باللغة الفصحى ويحرم نعيمهم التكلم بغيرها ويكون همنا ايضا تلقينهم الصالح من العادات والعناية بحواسهم عن طريق اللعب واحاطتهم بحسن العناية والرعاية والحب والعطف حتى لا يفقدوا هذا العنصر الهام من تربيتهم بفقدان والديهم .

ثم المرحلة الثانية من المرحلة الابتدائية وتمتد من الرابعة حتى الثامنة وفيها يستمر غرضنا بتعويد الاطفال العادات الحسنة . وتخليقهم بالاخلاق التي نرتضيها لجيلنا الحديث عن طريق الايمان والقدوة .

ويكون للعب دور هام في تربيتهم ، فنضع بين ايديهم ادواته لان اللعب حاجة حيوية للطفولة . ويمكننا استغلال اللعب في هذا السن استغلالا عظيما في تقديم المعلومات الى الاطفال عن طريقه ، هينة يسيرة في السنتين الاوليين ثم تزداد اتساعا كلما ازداد الطفل تقدما في السن ، اذ ان الطفل يستطيع ان يتلقى جميع دروس الحياة الضرورية له في بدء حياته عن طريق اللعب بالادوات والاشياء التي يجدها في متناول يده والتي يمكن ان تحيط به في الطبيعة . فالطفل في اثناء اللعب ينشط من تلقاء نفسه وهذا النشاط التلقائي كاف في ذاته لتعليمه .

ويجب علينا ان نقدم له هذه الادوات وان ننوعها وان نعهد له بيئة اللعب ونخلق له جوه . كل ذلك يكون تحت اشراف مربيات يعرفن ميول الاطفال وطباعهم ودوافعهم فيستغللنها في تربيتهم وتعويدهم العادات الحسنة والاخلاق الاجتماعية السامية مع احاطتهم بحو من العطف والحنان العظيم وبما اننا نود ان نعيش في مجتمع اشتراكي او قريب من الاشتراكية لابد ان نوجه عناية خاصة لناحية الملكية عند الاطفال في هذا السن ونجعلهم يفرقون بين ملك انفسهم وملك غيرهم ويعرفون قيمة كل منهما فحب التملك اذا سيطر على الفرد - وكثيرا ما يسيطر - جعله عبداً له وتنتج عن ذلك شرور كثيرة اذ الخوف من فقدان ما في اليد من ممتلكات هو مصدر ما تنوء تحته الانسانية من ظلم وهو المصدر الرئيسي للقسوة السياسية والاقتصادية . فمن الواجب اذن ان نخفف قدر ما نستطيع من غريزة حب التملك عند الاطفال ونوجه اهتمامهم الى ان يجدوا سعادتهم في اوجه اخرى من النشاط الانشائي البنائي العملي لمصلحة امتهم ومجتمعهم لا ان يبحثوا عن سعادتهم بين احضان المال وجمع الثروة .

نعم ان غريزة الملكية قوية عند الاطفال وهي تظهر بمجرد استطاعتهم القبض على الاشياء التي يرونها . وما يمسكونه يشعرون انه اصبح ملكاً لهم واذا اخذ منهم ثارت ثأرتهم . وان الطفل الذي لا يملك لعبة خاصة به يلتقط من الارض عصياً او قطعاً من الزجاج الملون او اي شيء نافه يثر عليه فيحفظه ويكنزه لنفسه هو وحده ، فالرغبة في الملك متأصلة في النفوس تأصلاً قد يكون من الخطر مقاومته . ولكن يجب علينا الحد من شدته والتخفيف من وطأته بحيث لا يستعبد صاحبه ولا يقف حائلاً دون العدل الاجتماعي .

ويمكن ان تكون هذه التربية عن طريق اللعب وذلك بان نخصص لكل طفل لعبة خاصة به ولعباً مشتركة بينه وبين غيره من الاطفال ونفهمهم اية لعبة لهم جميعاً واية لعبة تختص بكل واحد منهم وهكذا ..

اما المرحلة الثالثة من المرحلة الابتدائية فيكون لاعطاء المعلومات اثر كبير فيها ويكون ذلك عن طريق الخبرة الذاتية والنشاط التلقائي واثارة الشوق والرغبة والميل عند الطفل ، وليس الاكثر من اعطاء المعلومات وتقويتها معناه انه قد يطغى على غيره من النواحي والاعراض كلا ، بل يكون اثر المعلومات في هذه المرحلة اكثر وضوحاً واتساعاً من المرحلتين السابقتين

وهذه المعلومات التي يقبسها الطفل يجب ان تكون منسجمة ومتلائمة ومسايرة لحاجات الحياة الحاضرة للامة العربية ، فواقع الحياة الحالية يحتم على الامة العربية ان تستن منهجاً خاصاً يشمل مواد خاصة تفي بحاجات الحياة الحاضرة والمستقبلية للامة العربية ، وما حاجاتها الا العلم الصحيح والبحث والكشف ، فالعلوم والاكتشافات ومجاراة الامم فيها ، ضرورة للعرب ضرورة الحياة لهم ، لانه سيكون بينهم وبين اعدائهم الجدد منافسة شديدة في هذا الميدان ، واعدائهم قد سبقوهم بمراحل شاسعة فاذا لم يسرع العرب ليتداركوا بعض التدارك ما فاتهم فستكون حياتهم مهددة بالفناء او العيش تحت الحكم الابدي الاجنبي الذي سيمتصر عليهم لا بقوته وعديده بل بعمده وبعلمه وفنه وتنظيمه ومكتشفاته .

اذن يجب ان يكون السائد في منهجنا الروح العلمي والبحث العلمي وان نقوي روح الابتكار في ابنائنا حتى يستطيعوا ان يجاروا ارقى الامم في ذلك ، يجب ان تطغى على المنهج المواد العلمية والنواحي الصناعية التي

ترتكز عليها الحضارة الحديثة حتى يصبح تلميذ العاشرة والثانية عشرة عارفا بالعلوم الطبيعية والكيميائية وغيرها اكثر مما يعرفه تلميذ الشهادة الثانوية العلمي في المنهج الحالي ، فهذه المواد العلمية ضرورية ، اما الادب والفن فهما من الكماليات ويجب علينا ان نقدم الضروريات على الكماليات في حياتنا الحاضرة والمستقبل لاننا في عصر كفاح ونضال ودفاع عن النفس فاذا لم نسرع الى استنجد القوي الكامنة في الامة العربية والامكانيات المستترة او المعطلة عن العمل لديها والذكاء الخامد فيها او المحول الى وجهات اخرى ، واذا لم نسرع الى استخراج واستغلال ثروتنا والخيرات الكامنة في ارضنا بانفسنا ونوجهها جميعا في سبيل القضاء على عدونا القابع المتربص على حدودنا بل في قلب بلادنا قضي علينا في عقر دارنا وكنا لقمة سائغة لاعدائنا ابد الدهر .

اما الجغرافية والتاريخ فيجب استغلالهما استغلالا قوميا الى ابعد الحدود . ويجب ان يلاحظ في الجغرافية دراسة البيئة المحيطة بالطفل ثم التدرج الى البيئة العامة وكل ذلك عن طريق دعمه بالمشاهدة ، ولرحلات هنا اثرها العظيم فيجب الاكثار منها وخصوصا الى المدن ومما لها التاريخية وكذلك التاريخ يستحسن في تدريسه الابتداء بالعصر الحاضر ثم التدرج الى العصور القديمة وذلك لان العصر الحاضر اقرب الى حياة الطفل وهو اكثر اتصالا به من العصور الماضية

ويجب ابراز التاريخ بصورة قوية اخاذة تثير عواطف الطفل وتشعل حماسه وتضرم نار الانتقام والاخذ بالثأر من اعداء الامة العربية الذين مضت عليهم سنون كثيرة وهم يمتصون دماها ويسومونها الذل والخسف والاستعباد ، والذين استغلوا ضعفها وتفرقها فسدوا خنجرهم الى صدرها

ثم راحوا يتلذذون برؤية الدم المتدفق من قلبها .
وكذلك يجب ان توضع كتب المطالعة بحيث تبرز هذه الناحية وتبرز
ابطال الامة العربية القدساء منهم والمحدثين وخصوصا الذين ناضلوا وكافحوا
الاستعمار وظلمه .

واما اللغة العربية وقواعدها فيمكننا الاستغناء عن تدريس القواعد
استغناء تاما في هذه المرحلة ، لان الحاجة اليها اصبحت ضعيفة طالما اصبحت
الطفل يتلقى اللغة سليمة من خطأ اللحن من افواه مربييه . واللغة تؤخذ بالسماع
ولا تؤخذ عن طريق تعلم القواعد - والدليل على ذلك ان التلميذ الان يتعلم
القواعد من السنة الاولى الابتدائية حتى نهاية الدراسة الثانوية ثم يخرج وهو
لا يستطيع تقويم لسانه عن اللحن او يتكلم جملا متتابعة صحيحة التركيب
ويجب ان يقتصر في تعليم اللغة العربية في هذه المرحلة على الانشاء
الشفوي والتحريري والمطالعة والاملاء واستظهار بعض انقطع الجيدة من
العصر الحديث بحيث تكون ملائمة لميول الاطفال في هذه السن .

والطفل في هذه المرحلة من العمر يكون جسم النشاط كثير الحركة
جيد الصحة ، فيجب ان يستغل هذا النشاط وهذه الحركة والحيوية
استغلالا لفائدة جسمه وعقله وخلقه عن طريق اللعب والتعمرين الرياضي
حتى يكون قوي الجسم صحيح البدن ، وعن طريق تكوين الفرق
المدرسية الرياضية والعلمية والاجتماعية حتى يتدرب ويتمود على التعاون
الاجتماعي

وكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث لها خيم خاصة بها ، وتكون
الحياة مختلطة فيها بين الاناث والذكور ولكن يجب ان تكون عين المشرفين
ساهرة يقظة وخصوصا في مراقبة ابناء السنة العاشرة وما بعدها

وفي نهاية هذه المرحلة يمكن ان يسمح للناشئين زيارة اهلهم وان يقضوا بينهم شهرا في كل سنة

المرحلة الثانية - الثانوية - وتمتد من الثانية عشرة حتى الثامنة عشرة ويكون مركزها في الريف بين القرى لكي تتنوع بيئة التلاميذ ويستمر اتصالهم بالطبيعة

وتقسم هذه المرحلة الى مرحلتين ايضا ، الاولى منهما مدتها ثلاث سنوات وتكون عنايتنا فيها منصرفة الى الكشف عن ميول الناشئين ومواهبهم وتغذيتها استعداداً لبرازها ودفعها للعمل في المرحلة التالية .

ثم المرحلة الثانية ومدتها ثلاث سنوات ايضا يقسم التلاميذ فيها بحسب ميولهم واستعداداتهم ومواهبهم بحيث يوزعون على ثلاثة انواع من المدارس كما سنبين ذلك

وعندما يصل الناشيء لهذا الطور من العمر وهذه المرحلة من التعليم تصبح غرائزه الفردية سامية مهذبة بتأثير ما اكتسبه من عادات حسنة قوية واخلاق فاضلة ويصبح الميدان مهيئاً للترعات الاجتماعية والناشيء في هذا الطور ذو ميل للاطلاع العلمي المنظم وهو شره في طلب المعرفة لذلك يطفر الى العالم الخارجي بل الى الكون بأسره ويشدد ميله الى معرفة طبيعة الاشياء وخواصها لمجرد المعرفة والاستطلاع ، وتقوى نزاعاته الاجتماعية فيبحث عن الاصدقاء ، وتقوى فيه الوجدانات والمواطف وكثيراً ما تضطرب نفسه بمختلف الميول والرغائب دون ان يجد لها سبيلاً ويبدو ميله للتعاون مع رفاقه ظاهراً واضحاً في العمل الجدي واللعب على السواء . وهو ايضا في هذه المرحلة مثالي يريد ان يصلح العالم الفاسد المختل بقيمه وموازينه في زعمه . وهو يعشق البطولة والابطال ويغرم بقراءة

وتظهر ايضا في هذا الطور من العمر الغريزة الجنسية بقوتها وسلطانها ومشاكلها . لذلك كله كانت تربية الناشئ في هذا الطور دقيقة جداً تحتاج الى عناية تامة ورعاية عظيمة ممن يقومون على تربيته ، وكثيراً ما يظهر الشذوذ في هذا الطور ولكنني اعتقد طالما ان تربيته في السنين الاولى كانت سليمة خالية من التأثيرات السيئة فسينشأ ونفسه خالية من العيوب والشذوذ ولاجل مراعاة نزعات الناشئ وميوله واحواله النفسية السابقة يجب ان تمتجه مظاهر التربية والتعليم في هذه المرحلة الى النواحي التالية :

- ١ - متابعة الغرض الرئيسي من هذه التربية وهو جعل الناشئين وحدة منسجمة اساسها الشعور القومي والوعي الاجتماعي
- ٢ - اكتشاف الميول والاستعدادات والمواهب الخاصة بالناشئين وقدرتهم على الدرس والعمل فيما يصلحون له وافساح المجال لهذه الميول والمواهب وفتح الميادين امامها حتى تؤدي بهم الى التقدم المضطرد
- ٣ - التوجيه نحو النواحي العلمية الصناعية بصورة عامة وجعل طريقة التدريس مؤدية الى الاستقلال الفكري والبحث العلمي والتوجيه الذاتي في العمل

- ٤ - فتح ابواب الاضطلاع الشخصي امام الطلاب لينموا ميولهم ويغذوا ملكاتهم ويستفيدوا من اوقات فراغهم .
- ٥ - استغلال عواطفهم ووجدانهم في توجيههم توجيهاً قومياً ووطنياً
- ٦ - تقوية اجسامهم بالرياضة البدنية والرعاية الصحية التامة .
- ٧ - تكوين الفرق العلمية والرياضية والاجتماعية لتوثق بينهم روح التعاون والتفاهم والترابط

ولاجل ان ننمي في الناشئين الاستقلال الفكري ونجعلهم يستطيعون تنمية ميولهم وتغذية ملكاتهم وتمكنهم من الاستفادة من اوقات فراغهم يجب ان نفتح امامهم باب الاطلاع الشخصي الذي يجب ان نعتمد عليه اعتماداً قوياً في اكتساب المعارف والمعلومات في هذه المرحلة . لان للناسي في هذا الطور من سنه ومعرفة ونضجه ما يمكنه من ان يضطلع باعباء الدراسة بمفرده او بتعاونه مع رفاقه وخصوصاً في دراسة الادب واللغات والتاريخ والجغرافيه والمعلومات المدنية الخ . .

فاذا صادفته صعوبة ما او اعترضته عقبة ولم يستطع تذليلها بمفرده او بتعاونه مع جماعته او مع من هم اكبر منه سناً وعلماً ، التجأ الى الاستاذ المشرف وعرض عليه مشكلته فيحلها له . ويكون التلميذ بهذه الطريقة اكثر سروراً بالعمل واشد رغبة فيه واقبالاً عليه كما يكون اكثر قدرة على تفهم اية صعوبة تعترضه اثناء عمله واكثر انتباهاً وتحصيلاً للعالم واكثر قدرة وسهراً على حل المشاكل التي تعترضه من التلميذ الذي يتلقى العلم وهو جالس على مقعده يصغي الى المعلم اصغاء ربما لا يعي منه شيئاً او يكون ذهنه في واد والمعلم في واد اخر ، وذلك لان هذه الطريقة من التعليم لا تبعث في نفس التلميذ لذة وشوقاً واهتماماً .

اما بقية المواد كالطبيعة والكيمياء والاعمال اليدوية والصناعية وغيرها فتؤخذ في الخبار تحت اشراف المعلم وتدريبه بصورة عملية .

وفي مثل هذه الدراسة يجب ان تكثر الكتب والمراجع المتنوعة بين ايدي الطلاب حتى يستطيعوا ان يبحثوا وينقبوا ويدرسوا بانفسهم وعلى انفسهم . كما يجب ان تكثر الرحلات في هذه المرحلة ايضاً داخل القطر الذي يعيش فيه الطلاب وخارجه حتى يستطيعوا ان يتعرفوا على المجتمع

العربي بأسره .

وفي هذه المرحلة يمكن ان يسمح للناشئين بالذهاب في اوقات معينة محدودة لرؤية والديهم لتقوية الصلات بينهم ، ويمكن كذلك اعطاؤهم اجازة شهر في كل سنة يقضونها بين اهليهم وذويهم ويكون هذا الشهر اجازة للمدرسين ايضا .

والجو الخلقى الذي يسود هذه المرحلة والمرحلة الابتدائية السابقة هو جو فاضل بعاداته واخلاقه واعماله وسلوك اساتذته والناشئين فيه ، وليس للرديلة فيه اي ذكر او وجود لانها سوف لاتبرز على المسرح امام اعين الاطفال والفتيان فلا يعرفون ولا يقع امامهم الا كل ما هو فاضل ، فكل شيء يؤخذ بالتقوى والايحاء والتقليد واعمال المربين والمترفين كلها اعمال فاضلة صالحة منسجمة مع العادات الخلقية والسلوك الكريم .

وفي هذه المرحلة بقسميها ، ينفصل الذكور عن الاناث ويختلف منهج الدراسة عند الاناث عن منهج الذكور فيراعى في منهج الاناث الميول والاختصاصات النسوية الا اذا وجدت ذوات ميول قوية في ناحية من النواحي العلمية او الادبية او كان منهن عبقریات فمؤلا بؤخذ بيدهن الى حيث يبدو ذكاؤهن وعبقريتهن

والمرأة في هذا النظام هي ند للرجل ومساوية له في الحقوق والواجبات الا ان من ناحية الاختصاص والعمل فاختصاصها البيت وعملها العمل المنزلى في حدوده ودائرته ولكن هذه الحدود اكثر اتساعا واكثر اشعاراً بالمسؤولية والتمتع منها الان . اذ اننا عند ما رفعنا عن عاتق المرأة تربية الابناء القينا على عاتقها اشياء اخرى لاتقل اهمية عن التربية وهي تهئية السعادة والهناء المنزلى لها ولزوجها . والعمل الاجتماعى المنظم في زمن السلم

والدفاع بجميع وسائله عن الوطن في زمن الحرب

فالمرأة سوف تدرب على الاعمال الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي ، وعلى كثير من اعمال الرجال في داخل البلاد اذا ما ذهب الرجال الى الدفاع عن الوطن والذود عن حياضه وعلى اعمال المواصلات والتطبيب ، كما تدرب على حمل السلاح وخوض غمار القتال اذا دعت الحاجة ومست الضرورة . لهذا فالمرأة في نظامنا ليست قعيدة بيت ولكنها نزيلة جهاد وكفاح شأنها شأن الرجل في السلم والحرب

المرحلة الثالثة - المرحلة الجامعية - ويكون مركزها في الضواحي من المدن الكبرى وتبدأ هذه المرحلة من الثامنة عشرة وتنتهي بمدد متفاوتة بحسب الكلية التي ينتمي اليها الناشئ ، فقد تكون مدة الدراسة اربع سنوات او خمس او ست بحسب ما يوضع لها من انظمة وقوانين ولا يدخل الجامعة الا كل من تؤهله مواهبه لمتابعة الدراسة الجامعية القائمة على البحث العلمي المتواصل والسعي نحو الحقائق الجديدة والاكتشافات العلمية .

فالتربية الجامعية امتياز لا يناله الا ذوو المواهب المتفتحة والاستعدادات والميول القوية الواضحة ، فليست الجامعة في نظامنا مكانا لاضاعة الوقت كما هو الحال في النظام الحاضر وخصوصا عند الموسرين ، وليست مكانا للظفر بشهادة عالية يخرج صاحبها للحياة لا يستطيع ان يعمل عملا ما فيسعى الى الوظيفة ويريق ماء وجهه في سبيلها ، فاذا لم يجدها ولم يستطع ان ينالها بعد بذل الوسائط والشفاعات قدم في عقر داره ملوما مدحورا كاسفا حزينا .

ليست الجامعة مكانا لكثير من الشبان الذين يدعون انهم مادخلوها

الا حبا في العلم ولكننا كثيرا ما نراهم يتوقون الى انهاء دروسهم بسرعة
و يودون لو يقصرون عدد سنني الدراسة بل كثيرا ما رأيناهم يضربون
عن دروسهم في سبيل تقصير مدة الدراسة او احتجاجا على اطالنها ، او
كلما فكر ولاية الامور في تعديل المناهج او رفع نسبة النجاح لرفع المستوى
العلمي والثقافي للطلاب . بل ليست مكانا لاولئك الطلاب الذين عند ما
يطمئنون على ان الشهادة اصبحت في يدهم جعلوا بينهم وبين الكتب وبينهم
وبين الدرس والبحث سدا منيعا .

كلا ان الجامعة كما قلت مكان للبحث العلمي المتواصل مكان
لاكتشافات العلمية ، مكان للتوجيه الثقافي والادبي ، هي عمل ونشاط
وبحث وتدقيق . اساتذتها يبحثون في المعامل والخار وطلابها يتبعون نشاط
اساتذتهم ويساعدونهم في بحثهم . لذلك يجب ان تصدر عن الجامعة جميع
الاكتشافات العلمية والفنية .

هذه هي وظيفة الجامعة في نظامنا لا لالقاء المحاضرات النظرية التي يأخذها
التلاميذ عن الاساتاذ المحاضر مضطربة مفككة ثم يحاولون استرجاعها كما
تسترجع البغاة الكلام .

ويكون توزيع الطلاب اصحاب المواهب على كليات الجامعة كل بحسب
ميوله واستعداداته . فصاحب الموهبة الطبية مثلا يدخل كلية الطب ،
وصاحب الموهبة الهندسية يدخل كلية الهندسة وهكذا ... حتى يستطيع
كل طالب ان يبرز في الناحية التي يتخصص لها ويعمل فيها فتجني بذلك
الامة ثمار افعالها ونتيجة جهودها

وفي هذه المرحلة يتلقى الطلاب اثنا وذكورا التدريب العسكري
حسب ارقى الانظمة الحديثة

والتعليم الجامعي مختلط الاناث مع الذكور

تقسيم التلاميذ

لما لا يخفى على احد ان الاطفال ليسوا على حظ او مقدار واحد من الذكاء ، فهناك النابغة والذكي ومتوسط الذكاء وضعيف الذكاء والغبي ، ومن البديهي ان ليس هناك مفكر يستطيع ان يدعي بان في امكان هؤلاء ان يتفيدوا افادة واحدة فيما اذا وجدوا في صف واحد يملقون دروسا واحدة بطريقة واحدة دون ان نضحي بكثير من اوقات بعضهم ونحد من نشاطهم او دون ان نوقع الاضطراب في سير البعض منهم ايضا ، اذ ان لكل واحد قواه العقلية التي لا يمكنه ان يمدداها مهما بذل من جهد وقوة فمن الخطأ اذن ان نضع جميع هؤلاء او اكثرهم في صف واحد ونفرض عليهم منهجا واحدا ونطلب منهم ان يسيروا جميعا في سوية واحدة ، لان معنى ذلك قتل اللادكيا من بينهم وتضييع بقية رفاقهم الذين هم ادنى ذكاء منهم يستغلونها في الدرس عوضاً عن انتظار بقية رفاقهم الذين هم ادنى ذكاء منهم حتى يستطيع المدارس افهامهم ما لم يستطيعوا فهمه لاول مرة . ومعنى ذلك ايضا فشل كثير من هؤلاء ضعيفي الذكاء ورسوبهم عدة سنين ويكون من جراء هذا الرسوب ان تضيع ثقتهم بانفسهم ويذهبوا في العلم والتعلم ، وقد يستمر هذا الاثر ، اثر ضعف ثقتهم بانفسهم ، مصاحباً لهم طوال حياتهم حيث يسبب لهم الفشل اثر الفشل في حين انهم لو اتاحت لهم ظروف

تعليمية بحسب قواهم العقلية واستعداداتهم الذهنية وميولهم الطبيعية وبطرق تعليمية قديمة لحصلوا على فائدة جلى في هذا السبيل

فلاجل ان نعطي كلا حقه من التربية والتعليم ونسير بكل حسب قواه العقلية ومستواه الفكري وميوله الطبيعية لا بد من ان نقسم التلاميذ الى فئات متجانسة في الاستعداد العقلي والميل الطبيعي والذكاء الفطري (نوابغ اذكيا ، متوسطي الذكاء ، ضعيفي الذكاء ، اغبياء) وان نضع لكل فئة من هذه الفئات المنهج الذي يلائمها موزعا على عدد السنين يراعى فيه ان يكون مقرر كل سنة حسب طاقة الفئة التي وضع لها ، ومتى انتهى التلميذ من مقرر سنته انتقل الى مقرر سنة اخرى في فئته

ويجب ان تراعى في هذا التقسيم الميول والاستعدادات ايضا فيقسم افراد كل فئة الى اقسام متعددة بحيث يوضع افراد الميل الواحد والاتجاه المتجانس في فرقة او صف واحد ، وفي هذه الحال يكون النقل من صف الى آخر او من فرقة الى اخرى غير خاضع لقسوة الامتحانات الحالية فنستطيع ان نقل من قيمة الامتحانات ما شئنا ، بل نستطيع ان نمحو كلمة امتحان محوا كلياً ، ونعتمد في نقل التلاميذ من فرقة الى اخرى على رأي المدرسين والمشرفين ، لان الرسوب او التأخر الدراسي في مثل هذا التعليم لا يمكن ان يقع لاننا نسير في تعليمنا حسب طاقة التلميذ وقواه العقلية ، ولا يمكن للتلميذ ان يتأخر عن الاستذكار والدرس لان الجو مهما له وجميع مظاهره تحض على الدرس والتعلم ، فليس في هذه المدرسة كسول او ضعف بل كل يسير بحسب مقدرة العقلية ومستواه الفكري وحسب استعداداته ومواهبه وميوله الطبيعية ايضا

ومن اهم ما يجب مراعاته في هذا التقسيم هي المرونة التي تسمح بنقل

تلميذ من فئة الى اخرى اذا ظهر ما يستدعي ذلك ، كأن يظهر بانه اضعف ذكاً من افراد الفئة التي وضع فيها او اقوى ذكاً منها ، او ظهر لديه ميل في ناحية ما اقوى من ذلك الذي كان يظن انه اقوى ميل لديه

اما طريقة الكشف عن ذكاء الاطفال ومستواهم العقلي فهي طريقة المقاييس المعروفة الخاصة بالذكاء الى جانب رأي المدرسين والمشرفين والمربين وستكون عملية الكشف عن الذكاء في هذا النظام اسهل واقل تعقيداً واكثر دقة منها في مثل نظامنا التعليمي الحاضر ، ذلك لان هذه المقاييس يؤثر فيها كثيراً اختلاف الوسط الاجتماعي واختلاف التعليم والوراثة. ونحن في نظامنا هذا قد وحدنا بين التلاميذ في المؤثرين الاولين ، اي وحدنا بين التلاميذ في جميع الظروف التي يمكن ان تؤثر في المقاييس التي تدل على ذكائهم الفطري ولم يبق لدينا الا العامل الهام وهو الوراثة ، فبمكنتنا ان نكشف عن الذكاء الصرّف الذي لم يصبه شيء من عوامل سوء المحيط لضعفه او يطمسه او يموهه بطلاء كاذب ، ويجب ان تكون مقاييسنا عند ذاك مستوحاة من البيئة التي اصبحنا فيها وما يسودها من معارف ، اذ ان اكثر المقاييس الموضوعية حالياً مراعى فيها الوسط الاجتماعي الحاضر والنظم التعليمية الحالية

وهذا التقسيم بالنسبة للذكاء يكون في المرحلة الابتدائية ثم في القسم الاول من المرحلة الثانوية ، وتنتهي هذه المرحلة في سن الخامسة عشرة عند جميع الفرق

اما القسم الثاني من المرحلة الثانوية فيكون تقسيم التلاميذ فيه بالنسبة لذكائهم ومستواهم العقلي وبالنسبة لميولهم واستعداداتهم ايضاً ، فيوزعون على ثلاثة انواع من المدارس

١ - مدرسة ثانوية تمتاز بدراسات نظرية تعتمد على النشاط الذاتي للطلاب وخصوصاً في العلوم النظرية كالاداب والتاريخ والجغرافية والفلسفة الخ ...

ويتكون طلاب هذه المدرسة من الطلاب الازكياء والمتوسطين في ذكائهم ، ولكنهم لا يجتمعون في فرقة واحدة بل يكون الازكياء في فرقة والمتوسطون في فرقة اخرى ، ويمكننا ان نتوسع في برامج الفرقة الذكية فنضيف اليها مواد جديدة غير موجودة لدى غيرها من الفرق الاخرى حتى يكون هناك تلاؤم بين الفرقة الذكية وغيرها في ملء الوقت او يمكننا ان نتوسع في نفس المواد المقررة مع الازكياء اكثر من غيرهم وتفتح ابواب الجامعة لسكل من الازكياء والمتوسطين في ذكائهم فيكون منهم الكيميائيون والطبيعيون والمهندسون والمحامون والقضاة والتجار والموظفون ذوو المكانة العالية والمتوسطة

٢ - مدرسة ثانوية تمتداز بالدراسات العملية لذوي الاستعدادات والميول العملية من الطلاب وتعتمد الدراسة فيها ايضا على النشاط الذاتي ويكون طلابها من الازكياء والمتوسطين في ذكائهم ايضا ، وهؤلاء يكون منهم المهندسون الميكانيكيون والكهربائيون والفنيون في الوسائل الصناعية والزراعية وغيرها

٣ - مدرسة ثانوية تمتاز بالدراسة العملية لمن هم دون المتوسط في ذكائهم بحيث يتوجه الطلاب فيها توجيهاً عملياً مهنياً ويتكون منهم الصناعيون والزراعيون واصحاب الحوانيت والمهن الحرة الخ ..

٤ - مدرسة ثانوية لذوي الذكاء الضعيف والاغبياء ، فتخصص لهؤلاء دراسات عملية مع التثقيف قدر المستطاع

وكذلك تنشأ دراسات خاصة لذوي العاهات التي تؤثر تأثيراً مباشراً على التعليم كالأعمى والصمم فيعملون أعمالاً خاصة بحيث يستفيد المجتمع منهم قدر الإمكان

أما النوابع والعباقرة فبعد أن نكشف عن نبوغهم نسير بهم مستقلين عن باقي زملائهم وتخصص لهم دراسات خاصة بهم حيث يحاطون برعاية وعناية قوية ويمدون أعداداً خاصاً حتى تقطف الأمة الثمرة المرجوة منهم وبهذه الطريقة نستطيع أن نستغل مواهب الأمة العربية وإمكاناتها الفكرية والعقلية والروحية أحسن استغلال ، وبهذه الطريقة تعود تربتها إلى الخصب وأنبات العباقرة والنوابع بعد أن محلت مدة طويلة لأنها لم تجد السهاد والري

ولقد أخرجت الأرض العربية بعضاً من ذوي الذكاء الفذ رغم جفاف التربة وضعف عوامل الانبات ، ولكن كانت الرياح السحوم التي تهب من المجتمع المتأخر تعصف بهم فيقفون مزاومين معاندين ثم لا يلبثون أن يذبلوا ويحرقوا ثم يقعون صرعى أمام قساوة وعنف هذه الرياح العاتية التي تحملهم وتذروهم في الفضاء ، لأن أولئك الرجال الأفذاذ مهما كانت لهم قوة من ذاتهم فإنهم لا يستطيعون مقاومة عوامل قاهرة عاتية تكتملهم من جميع الجهات

ولقد أنبتت الأرض العربية أيضاً كثيراً من الأذكاء إلا أن كثيراً منهم قد انحرفوا عن جادة الإخلاص والطريق القويمة = وذلك لسوء تربيتهم = فآخذوا يعملون لمصلحتهم الذاتية وإنانيتهم الضيقة حتى أصبحوا نقمة على أممتهم وحرباً عواناً على مصلحة وطنهم وقوميتهم

فالأمة العربية الآن بامس الحاجة إلى الأفراد النوابع والأذكاء

ونحن في نظامنا التربوي والتعليمي هذا نريد ان نضع ايدينا على هؤلاء
ونفتح امامهم السبل ليسلكوا بالامة العربية النهج القويم والطريق المستقيم
المؤدي الى عزها ومجدها

ونريد ان نعني بكل فرد من افراد الامة عناية هي حق له في عنق
امته وذلك بان نعلمه ونتيح الفرصة له لاستغلال مواهبه الى اقصى حد
يستطيعه . ونريد توزيع النوابع والاذكيا على نواحي الحياة المختلفة بحيث
يتاح للامة ان تنتفع من عبقريتهم في شتى مناحي حياتها.

وهذا التقسيم لا يرمي الى ايجاد طبقات اجتماعية في الامة او انه يقف
سدا مانعاً وحجر عثرة امام تقدم الفرد يمنعه من ان يتحرر منه ، كلا
بل ان الفرد حر طليق في مجتمعا هذا يستطيع ان يكون ما يشاء وان
يسعى ويمجد ويسمو قدر استطاعته وقدر ما يظهر من كفاءة في ميدانه او
في ميدان آخر

فمنظمتنا هذا كمنظم « احجـار الشطرنج » اذ يقوم كل حجر
بوظيفته المخصصة له ولا يمنعه ذلك من التنقل في الميدان او القيام بوظيفة
اخرى غير وظيفته اذا استطاع او دعت الظروف الى ذلك ، وخصوصا
ان الفرد لا يخرج من ميدان انتماع الا وهو صالح لنواحي مختلفة في الحياة
فيزة هذا التعليم الاساسية انه يعتبر الامة طبقة واحدة متساوية ليس
بين افرادها تمايز ما - الا في الاستعداد الفطري والموهبة الطبيعية التي
وهبتها لهم الطبيعة - وبناء على ذلك يأخذ كل فرد في الامة مكانته في
الحياة الاجتماعية

ولا بد ان يصاحب ويدعم هذا النظام التربوي التمايمي نظام آخر
اجتماعي يغير هذا النظام الذي نعيش في ظله في الوقت الحاضر بحيث يكون

من اهم اسسه :

١ - تأمين حق الحياة لكل فرد من افراد الامة العربية عن طريق تأمين العمل له ، اي يجب ايجاد عمل لكل فرد من افراد الامة واذا لم يكن هناك عمل ما ، يجب على الدولة ان تكفل للفرد ولعائلته حق الحياة طول مدة تعطيله

٢ - تأمين المسكن الصحي اللائق لكل عائلة ، واساس العائلة يكون مؤلفاً من الزوج والزوجة فقط . ولا بأس من اضافة بعض الاقارب في الحالة الضرورية او اذا رغب الزوج والزوجة في ذلك كلاب او الام في حالة موت احدهما وبقاء الآخر وحيداً ، او الخالة او العمة او الجدة او الجد في حالة بقائهم وحيدين ، او الاخ او الاخت غير المتزوجين الخ ... اما الابناء فمتكفل الدولة بتربيتهم ، وقد ينضمون الى عائلة والديهم بعد عودتهم من مدرسة الدولة وقبل ان يكونوا عائلة

واذا اجتمع للرجل اقارب كثير ولا يود ابقاءهم عنده يمكن اعطاؤهم مسكناً خاصاً بهم وفصلهم عنه حتى لا ينفصوا عليه حياته المنزلية ويكون المسكن حينئذ كبيراً او صغيراً حسب كبر العائلة او صغرها ويشترط ان يكون ملكاً لساكنيه

٣ - تأمين التطبيب والمداواة المجانية للافراد الفقراء

٤ - الحد من الملكية فيجب الا يملك الفرد من العقارات الحجرية الا ما يلزم لسكنائه واسرته حتى يتيح لغيره من الاسر ملك منازلها ، ويجب على الدولة حينئذ ان تقيم مشاريع لبناء المساكن وتحسينها ، ويباح للفرد ان يملك من الخازن والمقاهي والمحلات العامة بقدر محدود ولكن لا يباح له ان يملك من الاراضي والمزارع الا ما يقدر على استغلاله استغلالاً

تأما هو وأفراد عائلته . ولا يسمح لاحد من سكان المدن التملك في القرى والارياف ويسمح لهم التملك في ضواحي المدن التي يسكنونها ضمن شروط الملكية ، ويكون استغلال الارض بصورة عامة حسب نظام المزارع التعاونية الحديث

٥ - تحديد الثروة عن طريق فرض ضرائب تصاعدية

٦ - يكون الزواج اجباريا في الخامسة والعشرين الا اذا كان هناك

مانع صحي

وبهذه الطريقة يمكن ان يسود المجتمع العربي شيء من التوازن والانسجام اذ تكون الامة قد تحررت من استعباد المادة ونيرها المذل ومن الشهوة الجسدية اللتين تطفيان على القيم الروحية والوجدانية ، وتصبح الامة طليقة من قيود المادة ، تعمل في سبيل مثلها الاعلى وتضحى لاجله عندما يدعوها غير هيابة ولا مترددة

ولاجل تطبيق او تنفيذ هذا النظام لا بد من قيام مرحلة اعداد وتهييء له لانه من الصعب على الامة العربية في الوقت الحاضر تحقيق مثل هذا النظام دفعة واحدة نظراً للظروف المضطربة التي تجتازها والفقر المادي والمعنوي الذي تزرح تحت ثقله ، فلا بد من عدة امور اصلاحية تكون خطوة اعداد لهذا المشروع تتناول التعليم اولا والحياة الاجتماعية ثانياً ، واهم هذه الامور ما يأتي :

١ - لا بد من جعل الغرض من التربية والتعليم هو عين الغرض الذي حددته سابقاً

٢ - احداث انقلاب وتغيير في وسائل وطرق وانظمة التعليم والتربية

حتى تقلام مع تطور التربية والتعليم في العصر الحاضر

٣ - الاسراع في وضع خطة حكيمة للسير نحو تعميم التعليم ومجانمته في جميع البلاد العربية

٤ - اخراج جميع المدارس الاجنبية مع مدرسيها الاجانب من جميع البلاد العربية

٥ - سيطرة الدول العربية على جميع المدارس والجامعات في بلادها واجبارها على ان تسير حسب خططها وغاياتها ومناهجها ثم تعيين لها المدرسين والمشرفين وتكف ايدي هؤلاء الذين ينفثون فيها روح التفرفة والرجمية او ينفثون فيها مبادئهم وافكارهم الهدامة

٦ - الاسراع في توحيد المناهج التعليمية بين جميع البلاد العربية ويشترط ان تتجه هذه المناهج اتجاهاً علمياً قوياً

٧ - الا كثار من مبادئ دور المعلمين وتوحيد مناهج هذه المعاهد او ان يكون هناك معهد واحد لجميع البلاد العربية يتخرج منه جميع معلمي ومعلمات البلاد العربية ، ويجب ان نلاحظ ملاحظة دقيقة الناحية الخلقية عند اختيار المعلم كأن نتبع تاريخه الخلقى بحيث يفضل صاحب الخلق القويم على المتفوق في الناحية العلمية وهو سيء الاخلاق او انه ذواخلاق ضعيفة .

٨ - اشراف الدولة اشرفاً دقيقاً على تغذية الاطفال وعلى صحتهم وخصوصاً الفقراء منهم

هذا من ناحية الاصلاح في التعليم وهو ما يتعلق بالتلاميذ والطلاب اما ما يتعلق بالحكومة والشعب ووجوب توجيهه وجهة قومية اجتماعية والعناية به ثقافياً ومادياً حتى يشمل الاصلاح جميع النواحي في الامة ، فيجب :

١ - قيام حكومة عربية قومية صالحة تسيطر على جميع الاقطار العربية او على القسم الاكبر منها على الاقل

٢ - سن قوانين تحدد بموجبها الملكية.

٣ - الحد من الثراء الفاحش بفرض ضرائب تصاعدية وبوسائل

اخرى غيرها

٤ - ايجاد الوسائل واتاحة الفرصة لكل عربي ان يملك في بلاده

اذ ان الملك يشكل جزءا من شخصية المالك ، فلكي يكون لكل عربي شخصية وطنية وقومية ثابتة يجب ان يكون مالكا في الوطن العربي والا لزمه الشعور بانه غريب عن هذا الوطن

٥ - تحريم التملك على الاجانب لان كل اجني يملك في ارض الامة

العربية معناه دخول جرثوم فتاك في جسم كائناتها الاجتماعي فيسبب له آلاما وامراضاً

٦ - عدم اعطاء الجنسية العربية للاجانب ولو اقاموا في البلاد العربية

آ ماذا طويلة

٧ - منع الزوج بالاجنبيات مطلقا ولاي فرد كان

٨ - اعطاء المرأة الحقوق السياسية الكاملة

٩ - العمل على الغاء الطائفية نظريا وعمليا

١٠ - العمل على رفع مستوى الاقطار العربية المتأخرة كالحجاز

واليمن والامارات الواقعة تحت النفوذ البريطاني وغيرها حتى يتم التماثل والانسجام بين جميع الاقطار العربية فيكون الاندماج والاتحاد اسرع واحكم

١١ - تحضير البدو اذ لا يليق بعصر الحضارة والنور ان يكون في

قلب البلاد العربية حياة بدوية متأخرة

- ١٢ - السعي حثيثاً لرفع المستوى المادي للطبقات الفقيرة وخصوصاً
الفلاحين والعاملين بإيجاد مشاريع زراعية وصناعية
- ١٣ - العمل على تصنيع البلاد العربية بالاكتفاء من الصناعات وتوسيعها
- ١٤ - العمل على بث الروح القومية وتقويتها بين جميع أفراد الأمة
العربية بجميع الوسائل

١٥ - القضاء على صحف التهريج والمجلات والروايات التي تستثير
الغرائز الجنسية والتي تتاجر بالادب الغث الرخيص لأنها تحط من مستوى
الشعب الخلقي وتقتضي على احساسه وذوقه الادبي وتثير فيه احط الغرائز
البهيمية وتصيره عبداً لها في حين اننا نريده محرراً منها مثقفاً ناضجاً ذا
احساس وذوق ، سليماً في خلقه وعقله وجسمه ، وقد كثرت وانتشرت
هذه المجلات في الوقت الحاضر بصورة تدعو للقلق

وقد انزلنا الى هذا الادب الرخيص الذي يمالئ العامة وينزل الى
احط من مستواها بعض الكتاب الكبار او الذين جعلتهم الظروف كباراً
في نظر انفسهم وفي نظر تلك الطبقة من الشعب ، فيجب على الدولة ان
تضع حداً لهذه المهزلة في اخلاقنا وادبنا وثروتنا الثقافية وتحول دون هذا
الادب الضار ودون ظهوره بضررها على ايدي المتجرين فيه في حين انها
تشجع الادب الصحيح الذي يهدف الى تشقيف الجماهير وتهذيبها وصقل
مشاعرها وتوجيهها وجهة قومية

١٦ - ان يوجه الادب وجهة قومية وان يسعى الكتاب القوميون
جهدهم لتقريب الفكرة القومية الى عقول عامة الشعب بان يجعلوهم يلمسون
تاريخ امتهم ويتصلون بالعوامل التي كونت هذا التاريخ ويطلعوهم على
نواحي العظمة القومية والكفاح والنضال القومي فيه ، يصورون لهم كل

ذلك بصورة اخلادة تلهب الروح وتثير الوجدان ويمينون لهم بان هــذا
الانطواء الذي انطوته الامة العربية على نفسها وهذا التأخر عن ركب
الحضارة سيبتبعهما حتما تفتح للحياة والنور ونقدم وسمو نحو السؤدد والمجد
اي ان يمشوا في الامة ثقفا بنفسها وانها ليست اقل استعداداً ومواهب
وامكانيات من الامم الاخرى

وقد مضت قرون وما يزال الاجني يزرع في نفس الامة العربية
الشعور بالنقص ويلقي في روعها بانها اقل من غيرها من الامم في المستوى
العقلي والذكاء والمواهب والامكانيات ، وما زال يغذي هذا الشعور حتى
آتى اكله واصبح القسم الاعظم من الامة العربية يشعر بانه مغلوب على
امره وان الاقدار قد تحكمت فيه وانه ليس لديه من المواهب والمؤهلات
للحياة ما عند الشعوب الاخرى وانه خلق لينقاد ويستعبد وتلك الشعوب
خلقت لتقوده وتستعبده ، حتى اصبحنا نسمع كثيراً من العامة عند ما
تحدثهم عن الوطنية والقومية والجهاد والكفاح والحرية والتطلع الى العزة
القومية والمجد التالذ يقولون بتهاون وكسل ونعمة فيها رنة التواكل تحرق
قلب المخلص « خليها على الله ، او طول عمر ك يا زبيبة فيك هالعود » وهذا
قول يكاد يدخل اليأس على القلب من شدة تحجر عقول هؤلاء التي اصبحت
راضية بقسمتها كما يقولون وما قسمتها الا الذل والخسف والفقر والبؤس
والجهل .

ولقد كان لرجال العرب المسؤولين ولرجال الدين في العصور الماضية
والعصر الحاضر ايضا القدح المعلى في ابصال الامة العربية الى هذه الحال
المحزنة من الاتكال والكسل وقتل روح العزيمة . فقد كان هؤلاء المسؤولون
يغذون هذا الشعور ليفهموا الفقير البائس بان فقره وبؤسه وتعاونه انما

هي قدر من الله قد خطها عليه في اللوح المحفوظ منذ الازل السرمدي
ولا اريد ان اطيل في هذا بل اريد ان اقول يجب ان يوجد في
الوقت الحاضر ادب توجيهي يدفع الامة الى التوثب والطموح يبين لها
اهدافها ويسير ويوجه قواها الفكرية الى هذه الاهداف حتى تصبح عتيقة
لها تسود حياتها وتجمع حولها كل ما في نفسها من ايمان واخلاص وما في
عقلها من فهم وفطنة وذكاء ، ويفهم الامة العربية بان لها رسالة في هذه
الحياة قد اعدت لتأديتها فيشرح لها رسالتها ويحثها على النهوض باعباء هذه
الرسالة ونشرها ، ويجب ان يكون هذا الادب متصلا بحياتها متغلغلا فيها
الى اعماقها يكشف عن ادوائها ويصور علمها ثم يصف لها انجع الدواء . كما
يجب ان يقف كتابها اقلامهم لهذه الغاية وان ابوا اعتبروا فارين من
المركة الكبرى المعركة المحترمة الان بين القومية العربية وبين الشعوب
الاخرى الساعية للقضاء عليها . بل اعتبروا متآمرين مع اعداء العروبة
وليس لتآمر على العروبة حياة في بلادها ، فنحن الآن في وقت يجب ان
تجند فيه جميع القوى والامكانيات في سبيل بث الامة العربية ، ولا
نستطيع ان نسمح لاي شخص مهما كان شأنه ان يعتزل ويتوارى من
المركة او ان يقول اريد ان ابقى في برجي العاجي افكر على هواي
وابحث عن ليلاي

١٧ - القضاء على التهريج السياسي الذي يهدف الى الالتفاف حول
الاشخاص المنزعجين والتصفيق لهم والتعلق بهم دون الالتفات الى القومية
الصحيحة والوطنية الصادقة ، هذا التهريج الذي يجعل القومية والوطنية
هي التعلق بهؤلاء الاشخاص الذين ينفثون في روع العامة ان القومية
والوطنية الصادقة لا يمكن ان تستشف الا من خلال شخصيتهم ، وهؤلاء

الافراد اكثر ما يبنون مجدهم السياسي على اكف هؤلاء العامة
١٨ - تجنيد الشباب المتعلم وبثهم في الارياف والقرى ليقضوا على
الجهل وينيروا بهض الانارة العقول المظلمة لاولئك القرويين السذج ،
ويجلبوا قلوبهم ونفوسهم الصادئة، ويجب ان يشمل التجنيد اكثر ما يشمل
اساتذة المدارس وطلبة الجامعات اناثا وذكورا
هذه العوامل ذات اثر قوي في احياء الامة العربية ولا بد من تنفيذها
حتى تكون خطوة اعدادية في سبيل مشروعنا الكبير



المعلم او المربي

ان الامر الهام الذي يجب ان تتجه اليه عنايتنا جميعها هو اعداد المربي للاجيال القادمة لانه هو الطبيب الروحي الذي يعالج ارواح ابناء الامة ويبحث لها عن انجع دواء حتى تكون هذه الارواح صافية المزاج خالصة من الكدر حرة قوية تستطيع ان تقف امام عواصف الزمن ومحن الدهر واضطراب الفكر وتشعب النفس

والمربي هو عدة الامة في السراء والضراء ومنشئ الاجيال وباعث النهضة وقائد الامة الى الخير او الشر بحسب ما تكون عليه نفسه ، فهو المثال الذي يشكل ابناء الامة بوحي من روحه وهام من فكره واقد ادركت الامم الحديثة قيمة المربي هذه ، فاخذت تعنى به عناية عظيمة وترفع من مستواه المادي والمعنوي وخصوصا الامم التي تهدف الى اصلاح عن طريق المدرسة

ولقد اظهر بسمارك الوزير الالماني المشهور في اواخر القرن التاسع عشر اثر المعلم في حياة الامة وتوجيهها وانهاضها حينما قال بعد انتصار المانيا في الحروب السبعينية « بمعلم المدرسة انتصرنا »

وقد قال احد الابطال مرة « لو كنت بين اطفال المدارس خمس سنوات » كما قال احد كتاب الانكليز « ليست المناهج والقوانين المدرسية

والابنية الفخمة والاجهزة العظيمة باكثر اهمية في التربية والتعليم من
المدرس فان له اثرا كبيرا في التلميذ ، في علمه وادبه وفي عمله ومهارته ،
حسن جداً ان تبنى المدارس وتعلم بالتلاميذ وترسم لها الخطط لاصلاحها
واحسن من هذا ان يعد لها المدرسون الاكفاء لينهضوا بها وبالتعليم

لا شك ان المعلم المدرسة تبلغ كل امة ما ترجوه لنفسها من عز
وسؤدد وخير وفلاح لانه يستطيع ان يهيئ الجو الالهامي الذي يستوحي
منه الطفل مبادئه وافكاره واخلاقه وعاداته وتقاليده وسلوكه ومثله العليا

فاذا كانت ارادة الخير كامنة في الطفل لا تجد لنفسها مجالاً للظهور
فان المدرس يستطيع ان يعد لها الظروف ويوسع لها المجال حتى تستطيع ان
يعد لها الظروف ويوسع لها المجال حتى تستطيع ان تفصح عن نفسها وتم
عن وجودها وتثمر ثمرتها المرجوة الطيبة. وهو الذي يغري الطفل بالنشاط
الدائم وينجب اليه العمل المثمر ويوجهه الى الطموح والسمو والرفعة .
وهو الذي يأخذ بيد الطفل الى الحياة فيبصره بها ويكشف له عن خباياها
قليلاً قليلاً ويرفع الحجب عن بصيرته لتفقه معنى الحياة والوجود ، وهو
الذي يعينه على الخروج من ظلمات الخيرة والتردد ويرشده الى ما غاب عن
فكره ويفسر له ما يراه من مظاهر الحياة المعقدة التي يقف فكره حائراً
امامها ، تأهلاً في يديها فيساعد على حلها وايضاها والتوفيق بينها حتى
تكون امامه بيئة المعالم نيرة المسالك

والمعلم يبعث في التلاميذ محبة التفكير الدقيق ومراعاة المنطق القويم
ويحاول ان يطبعهم على ذلك بان يبتكر المسائل التي تثير فيهم التفكير
وتدعوهم الى طول التأمل والمقارنة حتى يصلوا الى النتيجة الصحيحة ،
والمعلم يريد ان يربي كل التلميذ فهو يود ان يراه في اثنى المراتب واعلى

الدرجات يحيون حياة سميذة قائدها هدى العقل وحاديها الشعور الانساني العميق لان ذلك يدخل على نفسه شعوراً بقيمته واثره وثمره مجهوده، فالمعلم اذن صانع الاجيال وخالق الامم وباعث النهضة ونحن الآن نريد ان نخلق هذا المعلم او بالاحرى هذا المربي ليعيننا في نهضتنا وليبعثنا بعثاً جديداً ، نريد هذا المربي لنقول كما قال بسمارك « بمعلم المدرسة نهضت الامة العربية وانتصرت على اعدائها الكثر الالقاء فكيف نستطيع ان نخلقه ؟ .

قبل ان نبحث عن ذلك لابد لنا من ان نمر مروراً سريعاً على دراسة موجزة للظروف والاحوال النفسية لكل من المعلم والمتعلم في الوقت الحاضر وفي النظام الحالي لنرى مدى قوة العقبات التي تعترض التربية والتعليم في الوقت الحاضر ومن ثم يتبين لنا الفرق العظيم بين التربية المستقبلية الـتي نرجوها والتربية الحاضرة التي يظهر لنا منها انها لا يمكن ان تثمر الثمرة المرجوة في مثل هذه الظروف والاحوال التي تعيش فيها الامة العربية حتى ولو تحسنت هذه الظروف تحسناً ملموساً

فالمعلم فرد كسائر الافراد له ظروفه الخاصة وله مشاكله الذاتية واحواله النفسية تؤثر فيه وفي تفكيره واتجاهه وسلوكه ، فقد نشأ وهو مثقل بآثار الطفولة ومشكلاتها وما طرأ عليه في ادوار نموه من مشاكل عديدة ، مثقل بمشكلاته الجنسية ان كان عزبا وبمشكلات امرأته واولاده ان كان متزوجاً ، وهو كذلك متأثر باختياره لمهنته او حمل نفسه عليها ودرجة حبه لها او كرهه لها ، فاحياناً يدخل مهنة التعاليم بمحض رغبته وميله واحياناً يدفعه الظروف القاهرة دفعاً الى هذا العمل وهذه المهنة كما يحمل نوع نظراته لهذه المهنة من حيث انها اداة لكسب العيش او من حيث

عليهما القيام بمهمتهما بكل دقة وإخلاص ما لم توفر لكل منهما الناحية الجنسية وخصوصا المرأة اذ من الصعب جدا ان تكون اما كاملة لصغار الاطفال او معلمة صالحة ما لم تكن راضية من الناحية الجنسية ، ومن الخطاء النفساني استخدام النساء العوانس معلمات اذ ان العانس تحتاج الى ضبط نفس دقيق لا يكاد يتيسر لها دائما ، في حين انه قد يتيسر للرجال لانهم اقدر على ضبط انفسهم والسيطرة عليها .

٤ - يستمر المربي في التربية والتعالم حتي الخمسين او الخامسة والخمسين من عمره وعند ذلك يخير في ان يستمر في عمله ويقضي ما بقي من حياته بين ابناء الامة يتعهدهم ويرعاهم او ان يرجع الى المدن فيقيم في اية مدينة شاء معززا مكرما يقضي ما بقي من عمره في هدوء وسكينة ودعة . وهنا يجب على الدولة ان تمنحه فور انتهائه من عمله وسام شرف او اكثر تقديرا للجهود التي بذلها في خدمة الامة ، او ان تقيم له نصبا تذكارييا او لوحة تخلد اسمه عليها اذا اقتضى الامر ، كل ذلك بقدر عظمة الجهود التي يبذلها ، وكذلك يجعل للمعلمين مدفن خاص بهم يسمى باسمهم تقديرا لهم ولعظمة مكانتهم ووظيفتهم في الامة .

٥ - بعد ان تستتب هذه الخطة وهذا النظام يؤخذ المربي اول تخرجه من معهده الى التعليم الثانوى حق اذا بلغ الثلاثين من العمر او الخامسة والثلاثين ينقل الى الجامعة فيستمر فيها مدة تتراوح بين عشر سنوات ينقل بعدها الى مدرسة الصحراء ، فاذا لم يكن له مجال في الجامعة لعدم وجود امكنة شاغرة يرسل الى التعليم في الصحراء ويستمر هناك حتي الخمسين او الخامسة والخمسين على الاكثر

فبهذه الطريقة يمكننا عزل الناشئين في الامة العربية عن حاضرهم
 الغاسد وبهذه الطريقة يمكننا خلق مربين ذوي امكانيات وقدرات على خلق
 اجيال عربية صالحة لان تحيا وتعيش في عصر كهذا العصر وبين امم كالامم
 المتقدمة الراقية الحاضرة بل بهذه الطريقة ستكون الاجيال العربية القادمة
 اسمى وارفع امة عرفها الزمن ودون لها التاريخ .



كلمة اخيرة

رب قائل يقول : ان في حرمان الاباء من تربية ابنائهم وابعاد الابناء عن والديهم ما يضعف حياة الاسرة او قد يحرمها عنصرا من عناصر سعادتها . لذلك ابادر فاقول : ليس في هذا النظام ما يضعف حياة الاسرة او يبعد عنها عنصرا من عناصر سعادتها لانه سيمبقي الاسرة كيائها الحقيقي وهو الزوج والزوجة . تعقد بينهما اواصر المحبة وروابط الحياة المشتركة التي سيمتعاونان على تقويتها وتمنياتها ، وان اضعف شيئا منها فأنما يضعف تلك المصيبة العائلية الذميمة والعمل لها والتعلق بها تعلقا شديدا مما قضي على حياة الامة العربية بالشقاق والنزاع والتفرقة منذ ان شبت الامة العربية حتى الآن .

ثم ان الاسرة في العصر الحديث وعند الامم الراقية لا تتكون من اكثر من الزوج والزوجة والاولاد ، على ان كثيرا منها قد اخذ يتخلص من عبء الاولاد وعبء تربيتهم بارسالهم الى المدرسه الداخلية مدرسة الامومة او الحضانه لتربيتهم والعناية بهم عناية خاصة قد لا تتوفر لهم عند والديهم ،

وليس لدى الاسرة الحديثة من الوقت ما يمكنها من ان تعنى بتربية ابنائها لذلك تكل امر تربيتهم الى اناس مختصين قد وقفوا انفسهم وخبراتهم

لهذا الشأن الخطير والمهمة الجلية .

اما السعادة العائلية فكثيرا ما تكون حقيقية عند خلو المنزل من الاولاد وخصوصا عند تلك الاسرة الفقيرة في نسلها الضعيفة في موردتها التي لا تتيح لها ظروفها المعيسة وحياتها البئيسة المليئة بالتعب والكد ولا يتيح لها النظام الاجتماعي الظالم ان تشبع جوعها وجوع ابنائها فكيف تتمكن من تعليمهم وتربيتهم تربية صالحة ؟

وهاكم الرجال الذين لم يرزقوا اولاداً فان احدا منهم لم يدع بان عنصرأ من عناصر سعادته العائلية قد فقد بفقدان الاولاد بل بالعكس تراه حرا طليقا من قيود كثيرة ومسؤوليات كبيرة لعدم وجود الاولاد لديه . والذي يجعل اكثر الناس ينظرون الى الاولاد على انهم عنصر هام لحياة الاسرة مظاهر اجتماعية كثيرة اهمها :

١ - النظام الاجتماعي الاقطاعي والقبلي الذي يستمد العز والجاه من تكاثر افراد الاسرة والعشيرة اذ بهذا التكاثر تستطيع الاسرة او العشيرة فرض سلطتها على غيرها او حماية نفسها ومصالحها من اعتداء الممتدين . لذلك نرى في نظامنا الاجتماعي الحالي كلما كبرت العائلة وامتدت اصولها وتشعبت فروعها واتسعت ارجاؤها في الارض كلما قويت وازدادت مكانتها وعظم نفوذها وقويت شوكتها واخذ افرادها يعملون على السيطرة والنفوذ وكثيرا ما يصمد بعض افرادها الى ارفع المناصب عن هذه الطريق . ومن هنا كانت العصبية العائلية قوية الشكيمة وكان التطاحن العائلي شديدا عنيفا ومن هنا ايضا ضعف مجتمعا وانحط لان الفرد اخذ يعمل لمصلحته ومصلحة أسرته ويعمى عن مصلحة امته ووطنه .

ومن اثار سوء النظام الاجتماعي ايضا ما هو مشهور عند العامة وهو

شعوره بتوفر الكرامة عن طريقها

ومن جملة مشاكله ذات الأثر الهام نتائج تربيته الأولى ايضاً ،
فكثيراً ما تكون لدى المعلم دوافع خفية للانتقام تكونت لديه منذ صغره
فيجد في التلاميذ متنفساً ومجالاً سهلاً لهذا الانتقام يظهر في الضرب والنقد
وتقييد الحرية وغير ذلك .

وقد تكون عند المدرس عقدة نقص يحاول التعويض عنها في مهنة
التدريس التي يتسع فيها مجال التعويض اتساعاً كبيراً ، او يكون كارهاً
لهذه المهنة لاخفاقة فيها او لخطورة مسؤولياتها وكثرة صعوباتها ، وقد تظهر
كراهيته للمهنة ضد الاطفال انفسهم او تظهر في شكل حساسية شديدة
في العمل ، وقد يحدث لديه زهد في هذه المهنة لمقارنتها بالهن الأخرى من
الناحية المادية والاجتماعية الى غير ذلك من المشاكل الكثيرة

اما الطفل فهو مخلوق صغير يرى نفسه مدفوعاً الى الذهاب الى المدرسة
والجلوس امام هذا المعلم بمحض اودته او خارجاً عنها وهو يحمل مشاكله
المنزلية المتعددة ، من حبه لوالديه او كراهيته لهما وغيرته من اخوته—
وحبه لهم ، يحمل آثار النمو الطليق او المقيد ، آثار الحياة الحرة او الحياة
المضطربة المقيدة المهددة بالضرب كلما تنفس ، يحمل مشاكل لا تحصى من
آثار البيئة المنزلية كشجار عائلي مثلاً بينه وبين اخوته او بينه وبين امه
او ابيه او شجار بين امه وابيه او مرض احد والديه او تدهور اقتصادي
اصاب العائلة او تأخر في الصحة الى غير ذلك من المشاكل الكثيرة التي
تنتاب الانسان

فهذان الطرفان بمشاكلهما المتعددة وبالعوامل الخفية الاشعورية التي
تعمل في نفسيهما مجبران على ان يكيف كل منهما نفسه للآخر في ظروف

واحوال قد تكون ملائمة احيانا لنجاح هذا التكيف او غير ملائمة . فهل نستطيع ان نحكم على عملية التربية والتعايم بالنجاح في مثل هذه الظروف التي تتحكم فيها تلك العوامل .

لا استطيع الا ان اجيب بالنفي ، بل لا استطيع الا ان احكم بان هذين الطرفين يتنافران ويكون تنافرها اشد عند ما يكون المعلم لا يفهم من عملية التربية شيئا ، عند ما يكون المعلم يسير في تعليمه وتربيته سير عشواء الليل ، وعندما تكون العلاقة بين المعلم والمتعلم مبنية على القسوة والغلظة والتحكم ، عند ما يريد المعلم ان يفرض سلطته عند ذلك تمبطن نفس التلميذ بكراهيته له ولهذا السلطة التي يفرضها او التي يمثلها

هذه صورة موجزة عن العوامل التي تتحكم في سلوك وتصرفات كل من المدرس والتلميذ عند ما يجتمعان امام بعضها والتي يظهر لنا من خلالها ان عملية التربية لا يمكن ان تؤدي الى نتيجة حسنة او ثمر ثمرتها المرجوة في مثل هذه الظروف والاحوال لسكل من المعلم والمتعلم ، فاذا اردنا ان نجعل هذه الصورة عند كل منهما اقل تعقيداً ، اذا اردنا ان نزيل هذه العوامل الفعالة المؤثرة في حياة كل من هذين الطرفين ، اذا اردنا ان نصل الى الغاية التي نسعى اليها من عملية التربية والتعليم ، اذا اردنا منهما ان يتجادبا على اساس من المحبة والعطف والتقدير والاحترام لا ان يتنافرا على اساس الكراهية والبغضاء ، اذا اردنا من المدرس ان ينقطع لتلاميذه وتربيتهم وان يبذل اقصى ما يستطيع من خبرة وعلم ومجهود في سبيل رفع مستوى الناشئين ، اذا اردناه ان يكون مخلصا جادا متطلما الى تحقيق المثل العليا في هذه الحياة او ان يكون كما قال احمد شوقي « كاد المعلم ان يكون رسولا » .

وكذلك اذا اردنا من التلميذ ان يكون منسجماً مع المدرس متقبلاً
جميع ما يأمره به قبولاً قابلاً من اعماق نفسه لا تقبلاً صادراً عن اللحاء
الخارجي للنفس ، واخيراً اذا اردنا ان تنجح عملية التربية نجاحاً كلياً
فواجب علينا ان نزيل جميع هذه العوامل المؤثرة في نفس المعلم والمتعلم
والتي تعترض عملية التربية وتضع امامها العقبات ولا سبيل الى ذلك الا
بتوحيد بيئة التلاميذ وتوحيد تربيتهم وتعليمهم حسب ما بينت سابقاً
وتوحيد بيئة المعلم والعناية به حسب الخطة التالية .

١ - لا بد ان يعنى بتربية المعلم وتعليمه عناية عظيمة ، فمن ناحية التعليم
لا بد ان يكون زيادة عن تضاعفه بالمادة التي يتخصص في تدريسها عالماً
بطبائع الاطفال عارفاً بخصائصهم المختلفة وانواع المشاعر والرغبات والميول
التي تسود مراحل الطفولة بوجه عام وما يناسبهم ويصلح لهم في كل مرحلة
من مراحل تعليمهم ، دارساً علم النفس دراسة وافية حتى يخرجهم ذوي
نفوس صافية خالية من الامراض والعقد يحسن معاملته كل منهم بحسب
نفسيته ، ملماً بالامور الصحية ، حسن التصرف ذكياً لبقاً قوي الملاحظة
كي يلاحظ تلاميذه ملاحظة دقيقة في حركاتهم وسكناتهم في الصفوف
وخارجها جماعة ومنفردين ويبنى عليها آراءه في معاملتهم .

ومن الناحية الخلقية لا بد ان يكون خلقياً فاضلاً ، حتى يكون
باخلاقه واعماله قدوة للناسئين يتسمون خطاه ويقتبسون منه جميع مظاهر
السلوك الفاضلة .

ولاجل ان يكون كذلك وجب علينا ان نعد له البيئة والوسائل
التي تجعله وتخلقه مدرساً ومربياً كاملاً

٢ - لذلك نبتدي منذ الآن بانشاء معهد واحد او جامعة واحدة

لاعداد المدرسين والمربين اناثا وذكر كوراً بحيث يعد جميع معلمي ومعلمات البلاد العربية بأسرها ، ويؤخذ طلابه وطالباته موقتا من حملة شهادة التعليم الابتدائي الذين تبدو عليهم مخايل النجابة والذكاء وقوة الشخصية وهدوء الطبع واعتدال المزاج فنوفر لهم التعليم الثانوي والعالي حتى نعدم الاعداد الذي نرضيه لهم ونشترطه فيهم

ويكون هذا المعهد بعيداً عن المدن والبيئة الحالية ذا نظام ومنهج ستمد من احدث النظم التربوية والتعليمية ، يختار له المدرسون في اول الامر من جميع البلاد العربية بحيث ينتقون ممن عرفوا بالاخلاق الفاضلة والعقيدة القومية الصحيحة حتى يشرفوا على تنشئة الفئة الاولى من المربين . وفي الوقت الذي نكون فيه قد اخرجنا الفئات الاولى من هؤلاء المربين نستطيع ان نقوم تدريجياً بتنفيذ الخطة الكبرى مع ابناء الامة العربية جميعاً اي نبداً بنقل جميع الاطفال حديثي الولادة في الامة العربية الى البيئة الجديدة التي تكلمت عنها سابقاً ثم نعمل على اخذ سائر المربين من بين الذين نشأوا في هذه البيئة

٣ - لا بد لهذا المعلم في البيئة الجديدة من ان نوفر له جميع اسباب الحياة الهنيئة المرفهة وان نجعله يحيا حياة اجتماعية راقية داخل هذه البيئة فيكون للتلاميذ ابا يختلط بهم كما يختلط مع ابنائه ويرعاهم كما يرعى ابنائه لانه لا فرق بين ابنائه في الدم وابنائهم في الروح . وكذلك نوفر له المرأة ونوفر للمرأة الرجل ، اذ يجب ان يكون المربي متزوجا وتكون امرأته من المربيات ايضا حتى يتكافوا ويتعاونوا في جميع ما يعود على الاطفال بالخير وينشئهم احسن تنشئة .

وقد قلت يجب توفير المرأة للرجل والرجل للمرأة لانه من الصعب

ان من الواجب على الفرد منهم ان يأتي بالابناء لانهم عز وجاه له وانهم يعينونه غداً على الحياة في كبره وشيخوخته وعجزه .

٢ - العادة التي نشأنا عليها من اننا نرى الاطفال دائماً بين ظهرانيها فاذا فقدناهم فكأننا فقدنا عنصراً هاماً من حياتنا .

٣ - الغيرة ، فالمحروم من الاولاد يغار من غير المحروم .
وهناك عامل اخر هام في هذه الناحية وهو ان الناس لجوجون ثنائون لا يفتأون يرددون امام المحرومين احاديث عن قيمة الابناء واثرم وما يصيب الوالدين من حرمان بسبب عدم وجودهم والانسان خلق يسعى وراء الشيء المحروم منه ويتحسر عليه ان فاتة ، كل ذلك ينشئ الغيرة والحسد في قلوب المحرومين فيسعون الى ايجاد الاولاد حتى ولو بالوسائل غير الطبيعية .

٤ - نظام الطلاق او الزواج باكثر من واحدة ، فالمرأة لا تشعر بالاستقرار في بيتها الزوجي او الاطمئنان على حياتها الزوجية الا اذا جاءت بالاولاد الذين تشعر انهم القيد الحقيقي الذي يجر زوجها نحوها ،
فتمتلى خلت الحياة الاجتماعية من هذه العوامل وغيرها استطاع الناس ان يستغنوا عن وجود الاولاد بينهم بل سيصبح الناس يشعرون بالسعادة التامة والحياة المنزلية الهنيئة لان اكثر ما ينقص الحياة الزوجية والعائلية هو وجود الاولاد وتكاليفهم الكثيرة والتبعات الجسيمة الملقاة على كاهل الاباء بوجودهم وخصوصاً عند ما يكثرون في عائلة فقيرة او محدودة الموارد اذ ترى رب هذه العائلة يتقلب على حجر اللظى لانه يعمل ويمجد ويكبد وينصب ولا يستطيع ان يقوم بأود هذه العائلة او يوفر لابنائها ما يود ان يوفر لهم من مأكل وملبس وتعليم وتربية . لهذا شاع في المجتمعات المتقدمة

مبدأ تحديد النسل حتى أصبحنا نرى الناس يعتقدون هذا المبدأ بكثرة ،
الاغنياء منهم قبل الفقراء زاعمين انهم لا يستطيعون القيام باعباء تربية اولاد
كثيرين ، فاذا كانت هذه حال الاغنياء فكيف تكون حال الفقراء . ؟
والحقيقة المؤلمة ان الفقراء لا يفكرون في تحديد النسل مطلقاً بل
بالعكس يحاولون ان ينجبوا اكبر عدد ممكن من الاولاد ولتكن تربيتهم
كما تشاء الظروف والاقدار

وفي البيئات الفقيرة يكون سوء التربية باوضح معانيه وتكون
التربية المنحطة الشائنة باجلى مفهومها ثم يكون الاجرام والشذوذ بابشع
صوره

ثم ان جميع العائلات العاملة الكادحة في اوربة وكثيرا من عائلات
الطبقة المتوسطة فيها قد عمدت الى وضع اولادها في مدارس داخلية تهتم
بامور التربية منذ الطفولة اذ ليس لدى هذه العائلات متسع من الوقت
لكي تعنى بتربية ابنائها فاكثر اوقاتهما موزع بين العمل وبين توفير شيء
من الراحة والهناء العائلي لانفسهما
ولو ارادت هذه العائلات ان تعنى بتربية ابنائها بنفسها لاصبحت
حياتها جميعا لا نطاق

وقد اخذت هذه المدارس تقوم بمهمتها بكل دقة ونجاح وفي الوقت
نفسه لم يشعر الوالدان بان السعادة قد فقدت منها او ان عنصراً هاماً من
حياتها قد انتقص

لهذا اعتقد ان ليس هناك غريزة تسمى بالغريزة الوالدية كما يدعي
اكثر علماء النفس ، بل هناك غريزة جنسية فحسب ، وهذه الغريزة هي
التي تأتي بالاولاد ومن ثمة يتجهتم على الوالدين تربية ابنائهم لانه ليس هناك

من يقوم بمهمة التربية غيرها

فتربية الاسرة لابنائها وظيفة ورثتها الاجيال المتلاحقة ثم اخذت صبغة الواجب على الاباء ، وبامكان الاسرة في الاجيال القادمة ان تتخلى عن هذه الوظيفة وسنتخلى عنها حتما عند ما ترى الدولة ان الواجب اصبح يحتم عليها ان تتولى هذه المهمة وهذه المسؤولية عن كاهل الاسرة وتوكلها الى اناس اختصاصيين تكون قد اعدتهم خصيصا لهذا الشأن الخطير . وذلك كله في سبيل صالح الجماعة وصالح الاسرة وسعادة كل منهما في آن واحد .

اما من ناحية العطف والمحبة والحنان على الاطفال فسوف يحاط الاطفال بمناييع غزيرة من المحبة والرعاية تعوض عليهم محبة وحنان والديهم . وتجعل المحبة تفيض عن نفوسهم ليسبغوها على غيرهم . كما يسبغونها على والديهم وهم سينشأون يحبون كل انسان وخصوصا ذلك الذي انحدروا من صلبه وبطنه .

فليس اذا من هذا النظام التعليمي التربوي ما يضعف حياة الاسرة او يبعد عنها عنصراً من عناصر سعادتها ولكنه يهيئ للأسرة حياة سعيدة وجوا خاليا من اوصاب الحوادث المزعجة التي بسببها الابناء لئابائهم والاباء لابنائهم ثم انه يوفر للابناء اشياء ليس في ميسور الاسرة الفقيرة او الجاهلة ان توفرها لابنائها بل ويستطيع هذا النظام ان يفعل الشيء الكثير في مقاومة الآثار المفجعة التي تنشأ عن المعيشة في اسرة فاسدة او جاهلة .

فلو القينا نظرة على وفيات الاطفال مثلا في البلاد العربية لارتعنا من كثرتها الخيفة ولوجدنا ان اكثر هذه الوفيات هي من الاسر الفقيرة والجاهلة . ولوجدنا اكثر المشوهين واكثر المصابين بعايات مرضية منذ

صغرهم نتيجة لسوء التربية الصحية هم الجاهلين من الطبقة الفقيرة والمتوسطة
واليك ايها القاري ما قاله احد الكتاب في نهاية قصة صغيرة عن ولد
شقي بسبب سوء تربية والديه واصبح مجرما سفاكا « ونعجب حينما نرى
الطفل وقد خلقت منه اجهزة التربوية ، البيت والمخفر والمحكمة ، اقسى
سفاح لا يعرف قلبه معنى الشفقة التي لم ينعم بها لحظة في حياته
وزمي بالشذوذ مجانين الاجتماعيين حينما يطالبون بافقاد الطفولة من
برائن ادوات التربية الجاهلة لتسليمها الى اجهزة التربية الحديثة في عالم الغد
المدرسة والملاجئ الاجباري لسائر ابناء الطبقة المتوسطة والفقيرة (تلك
الطبقة التي تفوق السمك في سرعة تناوله) وابناء الطبقة الجاهلة من
الاثرياء

تلك الطبقة التي ان لم ينقصها المال لم يعوزها الجهل او الرعونة او
التقير لافساد نشأة الطفل وتحويله الى عضو مفسد في مجتمعنا المتداعي « ١ »
ففي سبيل ملايين الاطعالم الابرياء وفي سبيل اصلاح مجتمع ضعف
وانحل حتى تداعي ، وفي سبيل انهاض الامة العربية والسير بها قدما نحو
الملاء يجب ان يسعى شباب هذا الجيل وشباب الجيل الصاعد واولو الامر
فيهما تنفيذ وتطبيق هذه الخطة والاخذ بهذه التربية والسير على نهجها القويم

جريدة النصر عدد ١٧٨٢

المراجع

برتراند رسل	من سلسلة الفكر الحديث	في التربية
لجون ديوي		الديمقراطية والتربية
الدكتور عبد العزيز القوسي		امس الصحة النفسية
الدكتور قسطنطين زريق		الوعي القومي
جميل العلايلي		في سبيل القومية
س . هـ . جاكسون ، اسماعيل القباني		مبادئ التربية
الابراشي		الاتجاهات الحديثة في التربية
		التربية والحياة

الفهرس

صفحة	
٥	المقدمة
١٢	الفصل الاول التربية
٢١	الفصل الثاني اهمية التربية والتعليم
٤٥	الفصل الثالث الغرض من التربية
٥٤	الفصل الرابع العوامل المؤثرة في التربية
٧٤	الفصل الخامس البيئة الجديدة
٧٩	الفصل السادس الفكرة ، مراحل الخطة التربوية والتعليمية
٩٢	الفصل السابع تقسيم التلاميذ
١٠٦	الفصل الثامن المعلم او المربي
١١٥	كلمة اخيرة
١٢١	الخطأ والصواب
١٢٣	المراجع

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	١٥	ضرورية	ضرورية	٤٧	٥	مملئ	ممتلىء
١٤	١٣	يعطي	يعطى	٧٩	١		
١٥	١١	المليئين	الممئلئين	٥٩	١٠	الاحجار	الاججار
١٧	٢	بحاجة	في حاجة	٦٣	٩	نفوسها	نفوسهم
١٧	٧	بالمدارس	في المدارس	٦٣	١١	يريدونه	يريدون
١٧	٢٠	في القاء	القاء	٦٥	٩	نفس	نفسه
١٩	٧	المليئة	الملاى	٦٧	١٥	الاضطرابات	الاضرابات
١٩	١٣	اهل	هل	٧٤	٨	وسط	ووسط
٢٠	١	يعود على	يعود الى	٩٧	٤	نعني	نعني
٢١	٦	تعني	تعنى	١١٢	١٨	ابنائهم	ابنائهم
٢١	١٢	توفرها	توفرها	١١٦	٣	تسلها	دخلها
٢٢	٢٠	من	في	١١٦	٤	المليئة	الملاى
٢٨	٢٠	و	او	١١٨	١٤	من	في
٣٠	٣	تشتمت	تشمت	١٢٠	١	هم الجاهلين من	هم من
٣٠	٢٢	الولعين	الواعين	وهناك بعض الاخطاء الظاهرة وغيرها			
٢٦	٢٢	تنحرق	تنحرف	نتركها لفطنة القاريء			

370.1:H19mA:c.1

حمام، حسن

مستقبل التربية في البلاد العربية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01021312

American University of Beirut



370.1

H19mA

General Library

